(بلاغة الحِجاج في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب-رضي اللّه عنه)

إعداد

د/ نجوى سيد سيد إبراهيم

مدرس البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات بني سويف- جامعة الأزهر

(بلاغة الحِجاج في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب–رضي الله عنه)

نجوى سيد سيد إبراهيم

قسم البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات بني سويف– جامعة الأزهر .

البريد الالكتروني : **NagwaSayed.2117@azhar.edu.eg**

الملخص.

يهدف البحث إلى الكشف عن الآليات الحجاجية البلاغية في ديوان الإمام عليّ –رضي الله عنه–؛ لكون الحِجاج آلية بارزة في ديوانه –رضي الله عنه–، إذ اعتمد وجوها حجاجية بلاغية في الديوان لإقناع المتلقي، وحمله على قبول ما يعرضه من نصح وتوجيهات بغية الامتثال لها، وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون المنهج المعتمد هو المنهج ال٠وصفيّ التحليلي الذي يُعنى برصد الظواهر البلاغية المتعلقة بالحِجاج في الديوان، وبيان كيفية توظيف الإمام عليّ –رضي الله عنه– لها.

ومن أبرز النتائج التي تم التوصل إليها: توظيف التوكيد بأدواته المختلفة (إنَّ– القصر بالنفي والاستثناء– القصر بإنَّما) كآلية حجاجية؛ لكونه من الأساليب الحجاجية المهمة لإقناع المتلقي بالمعاني المراد تقريرها، شيوع الأساليب الإنشائية وتكرارها بشكل كبير في الديوان كالأمر والنهي والاستفهام، وكان أبرزها الاستفهام؛ إذ يحمل في طيّه قضية حجاجية تثير ذهن المتلقي، وتدعوه إلى إعمال فكره وحسه، كما اعتمد الإمام عليّ–رضي الله عنه– على الوسائل البيانية كالتشبيه التمثيلي والاستعارة والكناية كوسائل حِجاجية، فكان لها دورها البارز والملموس في دعم الحجة وعملية الإقناع بمضمون الفكرة والاطمئنان بها.

الكلمات المفتاحية: البلاغة– الحجاج– ديوان – الإمام عليّ بن أبي طالب.

(The eloquence of pilgrims in the Diwan of Imam Ali bin Abi Talib – may God be pleased with him)

Najwa Sayed Sayed Ibrahim

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls Beni Suef, Al-Azhar University, Egypt.

Email: NagwaSayed.2117@azhar.edu.eg

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls Beni Suef, Al-Azhar University, Egypt.

Abstract

may God be pleased with him) Nagwa Sayed Sayed Ibrahim Department/ Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Beni Suef, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt. The research aims to reveal the rhetorical argumentative mechanisms in the Diwan of Imam Ali - may God be pleased with him -; because argumentation is a prominent mechanism in his Diwan - may God be pleased with him - as he relied on rhetorical argumentative aspects in the Diwan to convince the recipient and get him to accept the advice and guidance he offers in order to comply with it. The nature of the subject required that the adopted approach be the descriptive analytical approach that is concerned with monitoring the rhetorical phenomena related to argumentation in the Diwan, and explaining how Imam Ali - may God be pleased with him - employed them.

Among the most prominent results reached: the use of emphasis with

its various tools (that - restriction by negation and exception - restriction by innama) as an argumentative mechanism; because it is one of the important argumentative methods to convince the recipient of the meanings intended to be reported, the prevalence of constructional methods and their repetition in a large way in the collection such as command, prohibition

and interrogation, the most prominent of which was the interrogation; as it carries within it an argumentative issue that stimulates the recipient's mind, and calls him to use his thought and sense, as Imam Ali - may God be pleased with him - relied on rhetorical means such as representative simile, metaphor and metonymy as argumentative means, the argument and the process of persuasion with the content of the idea and reassurance with it.

Keywords: Rhetoric - Argumentation - Diwan - Imam Ali bin Abi Talib.

المقدمة

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن غاية الحجاج الأساسية هي التأثير في المتلقي باستخدام تقنيَّات حجاجية بوصفها طرائق تكشف عن مهارة مستخدمها بما تثيره في المتلقي من انفعال يدفعه إلى التسليم بفكرة المحاجج أو النزول على رأيه؛ ذلك لأن تعدد الآراء المتباينة والمفاهيم والأفكار غالبا ما يؤدي إلى الاختلاف في وجهات النظر، مما قد يسمح بتوسيع هوة الخلاف بين الأفراد والجماعات، لذا فقد دعت الحاجة إلى طريقة تتكفل بمهام التآلف والترابط بين الأطراف وتكون قائمة على الإقناع، بحيث يدافع كل طرف عن أفكاره ومعتقداته معضدًا رأيه بالحجج والبراهين المقنعة، بغية إقناع الطرف الآخر بفكره، وصرفه عن رأيه بل وحثه على القبول والامتثال لقوله.

وديوان الإمام علي –رضي الله عنه– بما يحويه من زهديات وحِكم ونصائح يُعدُّ من روائع تراثنا العربي في صدر الإسلام، لذا ارتأيت أن أتخذ منه موضوعا للبحث من وجهة نظر حجاجية بجدوى الكشف عن الجانب الإقناعي والنظر في الوسائل الحجاجية البلاغية التي اعتمدها الإمام عليّ –رضي الله عنه– لهذا النص الشعري؛ احتجاجا لرأي أو دحضًا لفكرة ما، محاولا حمل السامع على الإذعان والتسليم لما يعرضه.

وقد جاء هذا البحث تحت عنوان: (بلاغة الحِجاج في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب–رضي الله عنه).

ومن **أهم أسباب اختيار هذا الموضوع:**

- كون الحِجاج آلية بارزة في ديوان الإمام عليّ –رضي الله عنه–؛ إذ اعتمد وجوها حجاجية بلاغية في ديوانه لإقناع المتلقي، وحمله على قبول ما يعرضه من نصح وتوجيهات بغية الامتثال لها.

- عدم تعرض الدراسات السابقة لديوان (الإمام علي بن أبي طالب) لدراسة الحجاج في شعره؛ إذ اقتصرت على جوانب أخرى، **وهذه الدراسات السابقة** هي:

١- أسلوب الإنشاء الطلبي في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب-كرم الله وجهه-: (بحث)، إعداد ماجد محمد النعامي، مجلة جامعة سرت العلمية- العلوم الإنسانية ٢٠١٥م.

٢- التماسك النصي في شعر الإمام عليّ بن أبي طالب-كرم الله وجهه- نماذج من الديوان: (رسالة ماجستير)، إعداد مباركة داشر، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة ٢٠١٦م.

٣- اسم الفاعل في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب-كرم الله وجهه- دراسة وصفية: (بحث)، إعداد الشيخ إبراهيم أحمد سلام عيد، مجلة آداب ذي قار ٢٠١٩- جامعة ذي قار- كلية الآداب.

٤- الجملة الفعلية في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: (بحث)، إعداد أمل السيد محمود سليم، مجلة كلية الآداب- جامعة سوهاج ٢٠٢٣م.

المنهج: وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون المنهج المعتمد هو المنهج الوصفيّ التحليلي الذي يُعنى برصد الظواهر البلاغية المتعلقة بالحِجاج في الديوان، وبيان كيفية توظيف الإمام عليّ -رضي الله عنه- لها.

الهدف من البحث: الكشف عن الآليات الحجاجية البلاغية في ديوان الإمام عليّ-رضي الله عنه.

خطة البحث: وقد بنيتُ البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فتتضمن: عنوان البحث، وأهميته، وسبب اختياره، ومنهج الدراسة، وخطة الدراسة.

وأما التمهيد فيتضمن: مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح، ولمحة عن حياة الإمام عليّ ابن أبي طالب وشعره.

أما المباحث الثلاثة فهي على النحو التالي:

المبحث الأول: (أساليب الحجاج البلاغية المستقاة من علم المعاني في ديوان الإمام عليّ (رضي الله عنه)، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التوكيد بـ(إنَّ– القصر بالنفي والاستثناء– القصر بإنَّما).

المطلب الثاني: أسلوب الشرط.

المطلب الثالث: الاستفهام.

المطلب الرابع: التذييل.

المبحث الثاني: (أساليب التصوير الحجاجية)، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التشبيه التمثيلي.

المطلب الثاني: الاستعارة.

المطلب الثالث: الكناية.

المبحث الثالث: (أساليب البديع الحجاجية)، ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعليل

المطلب الثاني: المذهب الكلامي

المطلب الثالث: الاقتباس

المطلب الرابع: استيفاء أقسام الشيء بالذكر

الخاتمة: وفيها إيجاز لأبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

والله أسأل التوفيق والسداد، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يستعملنا في طاعته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

(مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح،
ولمحة عن حياة الإمام عليّ بن أبي طالب وشعره)

١-دلالة مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح

أولا: مفهوم الحجاج في اللغة

يرجع مصطلح (الحِجَاج) إلى مادة (حَجَجَ) التي يمكن اشتقاق عدة ألفاظ منها مثل: الحُجَّة والمُحاجَّة والتحاجّ والاحتجاج وغير ذلك من التصريفات الاشتقاقية، من ذلك قول ابن فارس: " حجَّ: الحاء والجيم أصول أربعة، فالأول القصد، وكلُّ قَصْدٍ حِجٌّ، ومن الباب المحَجَّةُ: وهي جادَّةُ الطريق، وممكن أن يكونَ الحُجَّةُ مُشتقةً من هذا؛ لأنها تُقصَد، أو بها يُقْصَدُ الحقُّ المطلوب، يُقال: حاججتُ فلانا، أي غلبتُه بالحُجَّةِ، وذلك الظَّفْرُ يكون عند الخصومة، والجمع حُجج والمصدر الحِجاج"[١]، ويقول الرازي: "الحَجُّ في الأصل: القصد، والحُجَّةُ: البرهان، حاجَّهُ فحَجُّهُ من باب ردَّ، أي غلبه بالحُجَّةِ، وفي المثل: لَجَّ فحَجَّ فهو رجلٌ مِحجَاجٌ أي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التخاصم، والمَحَجَّةُ: جادَّةُ الطريق"[٢].

وقد أورد ابن منظور لمادة (حجج) باشتقاقاتها عدة معاني: "الحّجُّ: القصدُ، وحَجَّ بنو فلان فلانًا إذا أطالوا الاختلافَ إليه، يقال: حَاجَجْتُه أُحَاجُّه حِجَاجًا ومُحَاجَّةً حتى حَجَجْتُهُ، أي غَلَبْتَهُ بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها، والحُجَّةُ: البُرْهان، وقيل: ما دُوفِعَ به الخصم، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجَاجًا: نازعه الحُجَّةَ، واحتجَّ بالشيءِ: اتخَذَهُ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام محمد هارون: ٣٠،٣١/٢،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٩م.

(٢) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: ٥٢، مكتبة لبنان-بيروت ١٩٨٦م.

حُجَّةً، وإنما سُمِّيتْ حُجَّةً؛ لأنَّها تُحَجُّ أي تُقْصَدُ، ولأنَّ القصدَ لها وإليها، وكذلك مَحَجَّةُ الطريق هي المَقْصِدُ والمَسْلَكُ"[١].

ويذكر الكفوي في الكليات أنَّ "الحُجَّة بالضم: البرهان، وعند النظار أعم منه لاختصاصه عندهم بيقين المقدمات، وما ثبت به الدعوى من حيث إفادته للبيان يُسمَّى بَيِّنة، ومن حيث الغلبة به على الخصم يُسمَّى حُجَّة، والحُجَّة الإقناعية: هي التي تفيد القانعين القاصرين عن تحصيل المطالب بالبراهين القطعية العقلية، وربما تُفضي إلى اليقين بالاستكثار"[٢].

ويتضح من هذه التعريفات لمادة (حجج) أنَّ الحِجَاجَ يحمل عدة معانٍ لغوية وكلها متقاربة، تدور حول: (القصد والجدل والتنازع والمغالبة والدليل والبرهان والإقناع).

ثانيا: مفهوم الحِجَاج في الاصطلاح

يذكر الدكتور طه عبد الرحمن أنَّ حدَّ الحِجَاج هو: "كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها"[٣].

كما قالت الأستاذة الدكتورة سامية الدريدي: " يمكن تعريف النص الحجاجي بكونه نصا مترابطا متناغما يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية

---

[١] لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور: (ح ج ج)، دار الحديث القاهرة ٢٠١٣.

[٢] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت د عدنان درويش، محمد المصري: ٤٠٦، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٢ ١٩٩٨م.

[٣] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د طه عبد الرحمن: ٢٢٦، المركز الثقافي العربي – بيروت، ط١ ١٩٩٨م .

بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه، وُضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيَّات مخصوصة"[١].

فالخطاب الحجاجي هو حوار مبني على التوافق بين الأطراف المتحاورة بغرض التسليم والاقتناع برأي الآخر لاستناده على أدلة وبراهين داعمة لرأيه، فالغاية من الحِجَاج "أن يجعل العقول تُذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة الإذعان، فأنجع الحِجَاج ما وُفِّق في جعل حِدَّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك به"[٢].

والحِجَاج قديم ومتأصل في التراث العربي، ومن مظاهر تأصله عند العرب تلك المناظرات والمناقشات التي دارت بين الشعراء في العصر الجاهلي، كما ورد الحِجَاج بمعانيه وصيغه المختلفة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا تكاد تخلو كتب التراث العربي من تداول مصطلح الحجاج خاصة في المواطن التي يعتريها خلاف بين العلماء في وجهات النظر في النحو أو البلاغة أو الفقه أو علم الكلام، وقد أورده أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين الكتابة والشعر) تحت عنوان (في الاستشهاد والاحتجاج)، فقال عنه: "هذا الجنس كثير في كلام القدماء، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته"[٣]، كما وظَّفه الإمام عبد القاهر الجرجاني في دفاعه عن إعجاز القرآن الكريم بطريق إقناع المتلقي بنظرية النظم، فجاء كتابه (الدلائل) مطبوعا بطابع حجاجي واضح، أما السكاكي فقد ذكر الحِجاج في كتابه (مفتاح العلوم) تحت عنوان (علم الاستدلال)، قائلا:

---

[١] الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، أ.د سامية الدريدي: ٢٦، عالم الكتب الحديث- الأردن، ط٢ ٢٠١١م.

[٢] في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، أ.د عبد الله صولة: ١٣.

[٣] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم : ٣٨٣، المكتبة العصرية- بيروت ٢٠١٣م.

"من تكملة علم المعاني في الاستدلال؛ وهو اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بوساطة تركيب جمل، وقولي بوساطة تركيب جمل تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسمُّوا الجملة الواحدة حُجَّة واستدلالا"[1]، مما يدل على أن الحجاج بوصفه نظرية وضعت لإقناع المتلقي بفكرة ما أو قضية ما هو فن أصيل يضرب بجذوره في التراث العربي القديم.

[1] مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن على السكاكي، ضبطه نعيم زرزور: ٤٣٨، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١ ١٩٨٣م.

٢- **لمحة عن حياة الأمام علي –رضي الله عنه- وشعره**

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة، وابن عم النبي –صلى الله عليه سلم- وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة، وُلد بمكة عام ٢٣ ق هـ- ٦٠٠م، ورُبي في حجر النبي –صلى الله عليه وسلم-..... ولي الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ، وأقام بالكوفة (دار الخلافة) إلى أن قتله (عبد الرحمن بن ملجم المرادي) غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان ٤٠هـ- ٦٦١م، روى عن النبي ٥٨٦ حديثا[١].

والشعر الموجود في هذا الديوان المسمى (ديوان الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه) قد ذكر عبد الرحمن المصطاوي[٢]- هو الذي اعتنى بجمع شعره-: "نقصد بشعره هنا الشعر الذي صحت نسبته إليه-رضي الله عنه- ومصادره هي:

١- كتب السيرة النبوية: السيرة الحلبية، والسيرة النبوية لابن اسحاق، وابن هشام، والروض الأنف للسهيلي.

٢- المعجمات اللغوية: لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط، وتاج العروس للزبيدي.

٣- مؤلفات الغزالي: إحياء علوم الدين، ومجموعة رسائل الغزالي، ذلك لأنه أكثر من الاستشهاد بشعر أبي الحسن، وصرَّح بنسبته إليه، يقول: ومن شعر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

---

[١] ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي: ٤/ ٢٩٥، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، ط٥ ٢٠٠٢م. بتصرف

[٢] مقدمة ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-:١١، دار المعرفة بيروت-لبنان، ط٣ ٢٠٠٥م.

المبحث الأول: أساليب الحجاج البلاغية المستقاة من علم المعاني في ديوان الإمام عليّ (رضي اللّه عنه).

ويتضمن أربعة مطالب:

الأول: التوكيد بـ (إنَّ- القصر بالنفي والاستثناء- القصر بإنَّما).

الثاني: أسلوب الشرط.

الثالث: الاستفهام.

الرابع: التذييل.

المطلب الأول: التوكيد

يُعدُّ التوكيد بأدواته المختلفة من الأساليب الحجاجية المهمة التي يوظفها المتكلم بغرض إقناع المتلقي بالمعاني المراد تقريرها، وتأكيدها في سويداء قلبه، وإزالة ما يعلق في نفسه من احتمال أو يخامره من ريب في قبوله خاصةً ما إذا كان المقام مقام نصح وإرشاد أو وعظ وحكمة؛ فمثل هذه المقامات التي تكون الغاية منها تهذيب النفس، وغرس منابت الخير فيها، واستئصال دوافع الشر منها تقتضي ضروبا من التوكيد والتقرير.

– وقد حفل ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب _رضي الله عنه– بأنواع شتى من التوكيدات، أبرزها:

أ–التوكيد بـ(إنَّ)

– من ذلك قوله –رضي الله عنه– مُحذِّرًا من الاغترار بالدنيا الفانية: [1] (الطويل)

تَحَرَّزْ مِنَ الدُّنيا فإنَّ فِنَاءَها مَحَلٌّ فَنَاءٍ لا مَحَلٌّ بَقَاءِ

فَصَفْوَتُها مَمْزَجَةٌ بِكُدُورَةٍ وَرَاحَتُها مَقْرُونَةٌ بِعَنَاءِ

يُحذِّر الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– كل مسلم من الاغترار بزهرة الدنيا، أو الاستكانة لمغرياتها، مؤكدًا سرعة زوالها بأكثر من مؤكِد (إنَّ، واسمية الجملة والقصر بطريق العطف بلا)، فتنوعت أدوات التوكيد مع أن الحكم بزوال الدنيا وسرعة فنائها ليس بالأمر الغريب أو المنكر؛ لكن الموقف العملي لما عليه المسلمون إزاء هذه الحقيقة بمنزلة الإنكار لها؛ لأنهم يتصرفون تصرف من لا يظن زوالها، فينكبون على ملذاتها، ويتهافتون على شهواتها، فاستدعى المقام التوكيد بأكثر من مؤكِد؛ تنبيهًا لهم على غفلتهم، ثم جانس بين (فِنَاء) بمعنى (ما امتد

---

[1] مقطوعة من بيتين بعنوان (تحرز من الدنيا)، ديوان الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–، ت عبد الرحمن المصطاوي: ١٥، دار المعرفة بيروت –لبنان، ط٣ ٢٠٠٥م.

من جوانب الدار)[1] و (فَنَاء) بمعنى العدم والهلاك، وقد أوهم الجناس من الوهلة الأولى أن لا فائدة من التكرار إذ به قد أفاد سرعة زوال الدنيا، وكأنها خُلقت للفناء والعدم لا للبقاء فيها والخلود على أرضها، فيتقوَّى المعنى ويتأكد، ثم عمد إلى تجسيد زيف الدنيا وتصوير أحوالها القائمة على التضارب والتناقض وعدم دوامها على حال عن طريق الطباق بين (فَنَاء و بقاء) وبين (الصفوة والكدرة) وبين (الراحة والعناء)، ليثبت للمتلقي أن الدنيا متقلبة ولا تدوم على حال، لا تدوم صفوتها ولا تدوم كدرتها، ولا راحتها ولا عناؤها، فهي متحولة زائلة، فينبغي للمسلم الاحتراز منها والاستعداد ليوم الرحيل.

– وفي بيان شرف العلم وفضله على المال يقول: [2] (الوافر)

رضينا قِسْمَةَ الجبَّارِ فِينا لنا عِلْمٌ وللجُهَّالِ مَالُ

فإنَّ المالَ يَفْنَى عن قَرِيبٍ وإنَّ العِلمَ باقٍ لا يَزالُ

إن في اختصاص الله عزَّ وجلَّ عباده المخلصين بالعلم حُجَّةً من الحجج التي يقدمها الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– احتجاجا لشرف العلم على المال، فناسب ذلك تقديم المسند شبه الجملة على المسند إليه في الجملتين: (لنا علمٌ وللجُهَّالِ مالُ)؛ لتأكيد اختصاص الله سبحانه وتعالى المؤمن المخلص بحوزة العلم دون غيره، أمَّا المال فيحصل للمؤمن والكافر، والبَر والفاجر، ثم اتخذ من التوكيد بـ(إنَّ) وجملتها وسيلة للإقناع بصدى حجته، داعمًا إياها بالطباق بين (يفنى، وباقٍ)؛ لإبراز البون الشاسع بين العلم والمال، فضلا عن تجسيد معنى الحدوث والتجدد في المال؛ إذ عبَّر عن زواله بصيغة المضارع (يفنى)، أي يتناقص شيئا فشيئا حتى ينفد ويهلك كغيره من الماديات، بينما عبَّر عن بقاء العلم وثبوته مرة باسم الفاعل (باقٍ)؛ لإفادة أنه لا ينفد أبدا، وأن بقاءه ثابت دائم، ومرة بصيغة

---

[1] لسان العرب ، مادة : (ف ن ى).

[2] مقطوعة (لا تخضعنَّ)، الديوان :١٤٥.

المضارع (لا يزال)؛ للدلالة على أن العلم لا يعتريه النقص كالمال بل يزيد وينمو، وثمرته تظل باقية ينتفع بها المرء حتى بعد موته.

– ويقول أيضا في ضرورة صون المسلم لكرامته بالخضوع للخالق وحده لا لمخلوق: [1] (البسيط)

لا تخْضَعَنَّ لِمخلُوقٍ على طَمَعٍ فإنَّ ذلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ في الدِّينِ

واسْتَرْزِقِ اللهَ مِمَّا في خَزَائِنِهِ فإنَّما الأمْرُ بَيْنَ الكافِ والنُّونِ

إنَّ الذِي أَنْتَ تَرْجُوهُ وتأْمَلُهُ مِن البرِيَّةِ مسكينُ ابنُ مِسْكينِ

استهلَّ البيت الأول بصيغة النهي والبيت الثاني بصيغة الأمر بغرض النصح والإرشاد، والصيغتان (الأمر والنهي) يمثلان دعوة واضحة في ضرورة اللجوء إلى الله –عزَّ وجلَّ– والخضوع له وحده دون غيره، ومن ثَمَّ جاء التوكيد بـ (إنَّ) و (إنَّما) في الأبيات الثلاث وسيلة الإقناع بدعوته، وبيان العلة الموضحة لذلك وهي أن الخضوع لغير الله يُعدُّ ضعفا في الدين، ثم قيَّد فعل النهي (لا تخضعنَّ) بالجار والمجرور (لمخلوق على طمع)، فقدَّم الأول (لمخلوق) على الجار والمجرور الثاني (على طمع)؛ لينبئ بأن موضع الإنكار والغرض من النهي منصب على الخضوع لمخلوق مهما كانت مكانته دون الخالق، لذا كان تنكير (مخلوق)؛ لإفادة الجنس، يعني أي مخلوق كان، كما أشار الجار والمجرور (على طمع) إلى أن تمكن الطمع من قلب المسلم هو ما يدفعه للخضوع لغير الله، فلم يقل (طمعا) حيث يكون بيانا لعلة الخضوع المنهي عنه، ولكنه آثر تعديه بحرف الجر (على)؛ مبالغة في التبكيت والزجر؛ حيث دلَّ حرف الجر على تمكن الطمع منه لدرجة أخضعته لمخلوق مثله لا يملك من أمره شيئًا إلا بحول الله وقدرته، فكان التوكيد

---

[1] مقطوعة من بيتين (قسمة الجبار)، الديوان : ١١٩.

بـ(إن) واسمية الجملة؛ لتقرير أنَّ مثل هذا السلوك وهنٌ في الدين، كما أومأ اسم الإشارة (ذلك) الموضوع للبعيد بمدى شناعة هذا السلوك، وبُعده كل البُعد عن أخلاق المؤمن الأبيّ التقي الواثق بما عند الله.

وأرشد –رضي الله عنه– عن طريق فعل الأمر (استرزق) في البيت الثاني إلى طلب الرزق من الله، فهو وحده المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس، مؤكدًا عن طريق القصر بـ(إنَّما) شمول قدرته –سبحانه وتعالى– لكل شيء، فالأمر كله بيده بين الكاف والنون إذا أراد إيجاد شيء يكون موجودا في الحال، وهذا أمر مُسلَّمٌ به عند كل ذي عقل، ظاهر لا إنكار فيه، فلم التعلق بغيره؟!، ويلح –رضي الله عنه– في إثبات حجته واستقصاء المعنى من كل جوانبه؛ لخطورة المعنى وأهميته، فيؤكد مرة أخرى بـ(إنَّ) واسمية الجملة أنه لا فائدة تُرجى من أي مخلوق، فكان تعريف المسند إليه بالموصولية (الذي)؛ لأن التعريف بالموصولية مُشعر بعلِّية الصلة، و"اسم الموصول فيه إلزام بالدليل، وذلك لأن الصلة لابد أن تكون أمرًا معلومًا عند المخاطب حتى يتم بها التعريف"[1]، أي أن المسلم يعرف جيدا أنه لا فائدة ولا طائل يُنتظر من مخلوق مثله إلا بأمر الله مسبب الأسباب، فلمَاذا يترك مسبب الأسباب ويلهث وراء السبب؟، وإمعانا في التبكيت والردع وصف الخبر (مسكينُ) –فضلا عن دلالته بالعجز– بقوله (ابن مسكين)، فكان بمنزلة تأكيد على تأكيد لضعف المخلوق مهما كانت قوته ومكانته، مما يعمق الدلالة، ويقرر المعنى، ويمكنه في النفس فضل تمكن، وبذلك ترسخ الحجة في الأذهان والوجدان، ويطمئن لها العقل والقلب معا.

---

[1] آل حم غافر وفصلت دراسة في أسرار البيان، أ.د محمد محمد أبو موسى: ٣٣٨، مكتبة وهبة عابدين– القاهرة، ط٢ ٢٠١٢م.

ب- القصر بطريق النفي والاستثناء

يُعدُّ القصر ولا سيما بطريق النفي والاستثناء من أبرز الوسائل الحجاجية التي يعتمدها المتكلم؛ حتى يكون توجيه كلامه للمتلقي توجيه إقناع بصدق حجته، يقول الإمام عبد القاهر: "فأمَّا الخبرُ بالنَّفي والإثبات نحو: ما هذا إلا كذا، وإنْ هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطبُ ويشُكُّ فيه، فإذا قلتَ: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفعُ أن يكون الأمرُ على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيدٌ، لم تقله إلا وصاحبك يتوهَّمُ أنه ليس بزيد، وأنَّه إنسان آخرُ، ويجدُّ في الإنكار أن يكون زيدًا"[1].

وهذا الطريق (النفي والاستثناء) أشد طرق القصر توكيدًا؛ فالأصل أن يُستخدم فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو يجهله، أو يشكُّ فيه ويرتاب، فإذا ما استخدمه المتكلم في مقام الحكمة أو النصح والإرشاد كان دعمه للحجة أقوى، وتقريره للفكرة في النفوس آكد وأوثق، وإن لم يكن المخاطب منكرًا للحكم أو جاهلا به، أو شاكًّا في حصوله.

- وقد وظفه الإمام (عليٌّ) في مواضع شتى من ديوانه، من ذلك حجته في فضل أهل العلم على مَن سواهم، فيقول: [2] (البسيط)

مَا الفَضْلُ إلاَّ لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُمُ على الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ

فالبيت احتجاج يؤكد فيه أن سبب التفاضل بين الناس يكون بالعلم وحده لا بالأحساب وغيرها، فبثَّ هذا المعنى مؤكدًا بطريق النفي والاستثناء (ما الفضلُ إلا لأهلِ العلم)، فقصر الفضل على العلم بحيث لا يتعداه إلى الأحساب والأنساب،

---

[1] دلائل الإعجاز، للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ت محمود محمد شاكر: ٣٣٢، مطبعة المدني بمصر، ط٣ ١٩٩٢م.

[2] مقطوعة (أهل العلم أحياء)، الديوان : ١٣.

قصر صفة على موصوف قصر قلب، فقلب اعتقاد المخاطب، واختص أهل العلم بالأفضلية والتفاخر دون الأحساب، أمَّا التفاخر بالأحساب فهذا من العصبية الجاهلية المذمومة، وقد أفرغ –رضي الله عنه– هذه الحقيقة التي تناساها بعض المسلمين في قالب قوي متين؛ لتقريرها في وجدانهم بلهجة قوية حاسمة، ثم أردفها بجملة مستأنفة استئنافا بيانيا (إنَّهم على الهدى لمن استهدى أدلاءُ)، وصاغها مؤكدة؛ لمحو ما قد يعتري النفس من تساؤلات عن سرَّ أفضلية أهل العلم على غيرهم من ذوي الحسب، ففصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال، والجملة بيان في أنَّ أهلَ العلم يرشدون غيرهم إلى الحق، ويأخذون بأيديهم إلى طريق النجاة، وهذا يُعدُّ احتجاج بالدليل العقلي، لذا جيء بحرف الاستعلاء (على) المستعار للتمكن والاستعلاء؛ تمثيلا لحال أهل العلم وتمكنهم من الهدى على بصيرة بحال المتصرف في فرسه المتمكن منه أيَّما تمكن؛ ليثبت أنهم ليسوا مهتدين فحسب بل متمكنين من الهدى حتى صاروا أهلا لهداية غيرهم، يمنحون الهدى لمن استهدى، فأشارت زيادة الهمزة والسين والتاء في (استهدى) إلى أن طلب العلم ونواله لا يتأتى إلا بعد جهد وصبر ومكافحة ومكابدة العناء في طلبه، فيجب على كل متعلم بذل قصارى جهده في طلب العلم، وألا يملَّ ولا ييأس، ففضل الله عظيم يؤيته مَن يشاء.

– وفي موضع آخر يلُّح الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– على نبذ فكرة العصبية التي حرَّمها الإسلام، ويؤكد أن التفاضل يكون بالتقوى وحُسن الخُلُق كما قررت الشريعة الإسلامية، فيقول:[1] (الطويل)

لَعُمْـرُكَ مـا الإنسـانُ إلا بدينـهِ ... فلا تَتْرُكِ التَّقْوى اتكالا على النَّسَبْ

فَقَدْ رَفَـعَ الإسـلامُ سَـلْمانَ فـارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الشِّركُ الشَّرِيفَ أبا لَهَبْ

[1] مقطوعة من بيتين بعنوان (الإنسان بدينه)، الديوان : ٢١.

في البيتين احتجاج لسمو الإنسان بدينه وأخلاقه لا بنسبه، ولحرصه –رضي الله عنه– على بثِّ الفكرة وتقريرها، وإثارة اهتمام النفوس بها أكدَّ هذه الحقيقة بالقسم ثم بطريق القصر بالنفي والاستثناء، فقصر حقيقة الإنسان على التحلي بأخلاق الدين ونفيها عن الأصل والنسب، قصر موصوف على صفة قصر قلب، لقلب اعتقاد مَن غرهم حسبهم ونسبهم وظنوا أنهم بذلك أعلى وأشرف من غيرهم، ثم عطف على هذا المعنى قوله: (فلا تترك التقوى اتكالا على النسب) بالفاء المفسرة، التي أفادت عطف المفصل على المجمل، ناصحا المتلقي بأسلوب النهي بلزوم تقوى الله، فرفعة الإنسان بتحقيق التقوى لا بعلو نسبه، ثم يسترفد في البيت الثاني شاهدا من الواقع يعضد به دعواه فيتم الانطلاق من مقدمات إلى حقائق يقينية تدفع المتلقي إلى التسليم والإذعان، لذا حَسُنَ العطف بالفاء؛ التي أفادت ترتب البرهان على الحجة بغية الإقناع، ثم التعبير بالماضي المسبوق بـ(قد) في الجملتين (قد رفع الإسلام)، و(قد وضع الشرك)؛ لتمام وقوع الحدثين وحصولهما، كما جسَّدت المقابلة بين الشطرين حقيقة أن الإسلام يعزُّ أهله ويرفع شأوهم دون النظر إلى أحسابهم، فهذا سلمان الفارسي لا ينتسب إلى العرب لكنه أسلم وأخلص واتقى فرفعه الله وأعزَّه بينما في المقابل أحطَّ من شأن أبي لهب عم الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو صاحب النسب العالي ومن شرفاء مكة، فلم يشفع له حسبه ونسبه، فخسر واتضع شأنه بسبب شركه وكفره وجحوده للحق.

– وفي شأن تحقير أمر الدنيا واستصغارها يقول: [1] (السريع)

مَـــا هـــذهِ الـــدُّنيا لِطالبِهَـــا إلا عَنَـــاءٌ وهـــوَ لا يَـــدرِي

إنْ أقبلَـــتْ شَـــغَلَتْ دِيَانَتَـــهُ أو أدْبـــرَتْ شَـــغَلَتْهُ بـــالفَقْرِ

[1] مقطوعة من بيتين بعنوان (هذه الدنيا)، الديوان : ٧٤.

يأتي كلامه –رضي الله عنه– في البيتين السابقين في إطار التناصح، إذ يحذر من الميل إلى الدنيا والركون لها، والانصراف وراء الملذات والانشغال بها عن الطاعة، فحجته التهوين من شأن الدنيا لطالبيها، فاستخدم القصر بطريق النفي والاستثناء وسيلة لإقناع المتلقي بحجته، فقصر الدنيا على العناء دون الراحة والدعة قصر موصوف على صفة قصر تعيين، محددا لمن يظن أن الأمرين من الراحة والعناء مجتمعين فيها، فقصرها على العناء فقط، ولاستصغار أمرها في قلب المؤمن أشار إليها باسم الإشارة (هذه) المشار به للقريب؛ تنبيها على حقارتها ووضاعتها في نفس المؤمن الذي لا يُلقي لها بالا، وناسب ذلك تقديم الجار والمجرور والمضاف إليه (لطالبها) على الخبر (عناءٌ) النكرة؛ لحصر ذلك العناء العظيم على الراغبين في الدنيا المقبلين عليها، فهؤلاء لا يجنون من وراء لهثهم إلا عناءً جسيما لا نهاية له بدليل جملة الحال الاسمية: (وهو لا يدري)؛ التي أكدت أن هذا العناء دائم مدة دوام الإنسان في الحياة، حيث طغت رغائبه وشهواته على إدراكه فلا يزال منهمكا في اللهث وراء أهوائه غير مبالٍ بما كلفه الله به.

ويردف هذه الحجة المؤكدة ببرهان قوي في البيت الثاني داعما لها؛ فحصر الدنيا عن طريق (حسن التقسيم) بين أمرين متقابلين لا ثالث لهما، الأول : أنها في حالة إقبالها –كناية عن رغد العيش– تشغل المرء بنعيمها عن أمور دينه، والثاني: أنها في حالة إدبارها– كناية عن ضيق العيش– تشغله بالفقر عن الطاعة أيضا، وبُنيت الجملتان على الشرط بـ(إن) التي تستخدم في الأمر المشكوك فيه أو النادر الوقوع، ولكن هنا قد استخدمت في أمرين متوقعين ولا يتصور أن تكون هناك حالة ثالثة لمن شغل نفسه بأمرها، وفي مجيء الكلام على هذه الصورة من حيث التقييد بـ(إن) دون (إذا) إشارة لطيفة إلى أن المؤمن الذي وقر الإيمان في قلبه ينبغي أن يستوي عنده الأمران (إقبال الدنيا وإدبارها)، فكلاهما بلاء وفتنة واختبار من الله، وكلا الأمرين له خير، إن ابتُلي بكثرة النعمة والغنى شكر الله وأدَّى حقه فيما أعطاه، وأنفقه فيما يرضيه جلَّ وعلا، وإن ابتُلي بالفقر وضيق الحال صبر واحتسب وابتغى الأجر في الآخرة.

جـ- القصر بـ(إنَّما)

القصر بـ(إنَّما) يفيد التوكيد أيضا؛ لتضمنها معنى (ما وإلا)، غير أنها تختص بالدخول على المعاني المألوفة التي تأنس بها النفس ولا تنكرها أو تجهلها كما في (النفي والاستثناء)، لذلك لا تدخل على المعاني الغريبة أو المنكرة التي من شأن المخاطب دفعها أو التشكيك في صحتها، "فهي أداة رقيقة هامسة لا تنزعج النفوس لما دخلت عليه، ولا ترفض ما جاء في وعائها، ألا تراك حين تقول لصاحبك: لا تغضب من فلان فإنَّما هو صديقك، ألا ترى أنك تمتص برفق ثورة غضبه، وكأنك تربت على كتفه في لين ومودة وتؤدة، تمسح برفق ضغينة نفسه فتُذهبها"[١]، فالتوكيد بها توكيد فيه ملاطفة ولفت خفيف إلى المعاني المعلومة لدى المخاطب، والتي من شأنها ملامسة قلبه، لذا تُعدُّ (إنما) من الوسائل الحجاجية البلاغية المهمة التي يعتمدها المتكلم حين يوجه خطابه للمتلقي توجيه إثبات وإقناع.

- وقد تحقق القصر بـ(إنما) في ديوان الإمام عليٍّ -رضي الله عنه- وصولا للإقناع بحجته، من ذلك قوله: [٢] (البسيط)

وإنَّما أُمَّهاتُ النَّاسِ أَوعِيَةٌ [3]مُسْتَوْدَعَاتٌ وللأحسابِ آباءُ

فإنْ يكُنْ لهُمُ مِنْ أصلِهِمْ شَرَفٌ يُفاخِرُونَ بِهِ؛ فالطِّينُ والماءُ

---

[١] دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د محمد محمد أبو موسى: ١٥٥، مكتبة وهبة عابدين- القاهرة، ط٤ ٢٠٠٨م.

[٢] مقطوعة (أهل العلم أحياء)، الديوان : ١٣.

[3] الحسب: الشرف الثابت في الآباء، والحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، والنسب: الأصل.

المُسْتَودَعُ: المكان الذي تجعلُ فيه الوديعةَ، يقال: استودعتَهُ وديعةً إذا استحفظتَهُ إياها.

-ينظر: لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور: مادة (ح س ب)، ومادة (و د ع)، دار الحديث القاهرة ٢٠١٣.

بدأ بالتدرج في بسط الحجة وصولا للنتيجة الحتمية المنطقية التي بها يقوض ذلك الزعم الزائف من التفاخر بالأحساب؛ فكان البيت الأول بمنزلة مقدمة أكدَّ من خلالها حقيقة ثابتة ومشهورة بين الناس وهي أن أصل كل البشر يرجع إلى أُمٍ وأبٍ، أمَّا الأمهات فلسن سوى أوعية تحفظ في رحمها ما استودعه الآباء، وأكدَّ تلك الحقيقة التي لا تقبل الشك بـ(إنَّما)، فقصر أمهات الناس على كونهن أوعية لأبنائهم لا غير، وزاد في تأكيد ذلك بوصف الأوعية بقوله: (مستودعات)؛ مبالغة في بيان أنهن لا فضل لهن في التفاخر، وبهذا سقط تفاضل الناس من جهة أمهاتهم، وبقى الآباء، فقال: (وللأحساب آباء) فقصر –عن طريق تقديم المسند على المسند إليه– الآباء على الأحساب دون الأمهات قصر إفراد، ثم رتَّب على هذه المقدمة المُسَلَّم بها –وهي نفي التفاخر للأمهات وإثباته للآباء– افتراض آخر في البيت الثاني، فعطف بالفاء التي أفادت أن ما بعدها مترتب على ما قبلها؛ ليلفت نظر المتلقي إلى ضرورة التريث والتدبر في تلك الحجة المنطقية التي تسلمه إلى الإقرار والتسليم بها، وناسب ذلك تقييد الشرط بـ(إنْ)؛ لمجيء الكلام على سبيل الفرض والتقدير، بمعنى إنْ فُرِض وثبت التفاخر بالأصل والنسب، فعلى الإنسان أن يفتخر بالطين والماء، فهما أصل كل البشر، فجاء تقييد الشرط بـ(إنْ) إشارة إلى أن الأصل الذي دعا الإسلام إليه هو تحريم العصبية وعدَّها من أخلاق الجاهلية، فليس هناك أي شرف في التفاخر بالنسب، فالجميع عند الله سواء، أصلهم واحد، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، فهما معيار التفاخر والتفاضل بين البشر.

– وفي الصبر على الشدائد يقول –رضي الله عنه–:[1] (الطويل)

لا تجْـزَعَنَّ مـنَ الحـوادثِ إنَّمـا خُـرُقُ الرِّجـالِ مـنَ الحـوادثِ

---

[1] قصيدة (أخلاق عالية)، الديوان : ١٠٦.

[2] الخُرُقُ: الجهلُ والحمق. ينظر: لسان العرب: مادة (خ ر ق).

تراه هنا يوظف صيغة النهي المؤكدة بنون التوكيد الثقيلة؛ إشارة إلى حرصه الشديد لبلوغ نصحه إلى المتلقي رغبة في الامتثال له، ناصحا إياه بالصبر على شدائد الدهر ونوائبه وعدم الانزعاج منها، فدعَّم نصحه هذا بحكمة مؤكدة عن طريق القصر بـ(إنَّما) (إنَّما خُرُقُ الرجالِ من الحوادث يجزع)؛ لبيان أن الجزع لم يكن أبدا من شيمة الرجال، بل مقصور على خُرُقِ الرجال وجُهَّالهم منفي عن الفطناء منهم الحاذقين بصروف الدهر، وكرر لفظ (الحوادث)، عنايةً بها؛ لأنها معقد الكلام والغرض المبني عليه النهي، إذ الصبر لا يُعدُّ صبرًا ولا يُحمد إلا عن عند نزول الشدائد، والمؤمن الحق من شيمته ألا يجزع ولا يسخط من البلاء بل يصبر ويحتسب، وكان في ذكر الفعل (تجزع) في صدر البيت ونهايته من باب رد الأعجاز على الصدور مبالغة في تأكيد المعنى وتقريره، وكأنه يقرع الأسماع به مرة بعد مرة احتفاءً به، وإمعانا في تقريره، ومبالغة في تأكيده.

المطلب الثاني: أسلوب الشرط

إن طبيعة أسلوب الشرط تقوم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه، ففعل الشرط يمثل المقدمة والجواب المترتب عليه يمثل النتيجة، لذا فأسلوب الشرط يُعدُّ من الوسائل البارزة في النص الحجاجي؛ " فتركيب الشرط يساعد على تقييد المعنى بفضل طبيعة العلاقة التلازمية بين جزئيه، مما يُخرج الحكمة مستحكمة كالقاعدة الثابتة، والقانون السرمدي، وأما قولنا: إنها رافد هام للعملية الحجاجية؛ فلأن الحِكَمَ متى جاءت في أعطاف القصيدة أو القطعة كانت بمثابة الدعائم والركائز التي تُعجِّل بتبليغ المعاني وإيصالها إلى المتلقي؛ لأنها تغنيه عن البحث والسعي وراء دقائق المعاني ولطائفها"[1].

– وقد اعتمد الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– أسلوب الشرط في ديوانه بهذا البعد الحجاجي بشكل واضح، من ذلك قوله: [2] (الكامل)

واللهِ لـوْ عَـاشَ الفتـى مِـنْ دهـرِهِ ... ألفًـا مِـنَ الأعْـوَامِ مَالَـكَ أمـرِهِ

مُتَلَـذِّذًا فيـه بِكُـلِّ هَنِيَّـةٍ ... ومُبَلِّغًـا كُـلِّ المُنَـى مِـنْ دهـرِهِ

لا يَعْـرِفُ الآلامَ فيهـا مـرَّةً ... كـلاَّ ولا جَـرَتِ الهُمُـومُ بِفِكْـرِهِ

مـا كـان ذَاك يُفِيـدُه مِـنْ عِظَـمِ مَـا ... يَلْقَـى بـأوَّلِ لَيْلَـةٍ فـي قبـرِهِ

الأبيات وعظية تحمل احتجاجًا لحتمية الموت مهما طال العمر، فينبغي على المسلم أن يتدارك نفسه ويستعد للقاء ربه قبل فوات الأوان، لذا كان التركيب الشرطي وما احتوى عليه من تركيب عطفي لأحوال عديدة على جملة الشرط يتلاءم مع وجهة الأبيات الحجاجية؛ فأتى –رضي الله عنه– على المعنى من كل جوانبه، فلم يدع من الأحوال التي تتم بها جودة المعنى إلا وأتى بها، فاستهل

---

[1] الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، أ.د سامية الدريدي: ١١٦، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط٢ ٢٠١١م.

[2] مقطوعة (أول ليلة في القبر)، الديوان : ٧٣.

كلامه بالقسم؛ بيانا لأهمية المعنى وخطورته، ومجيء لو الامتناعية جوابا للقسم، وجاءت (لو) وشرطها وجوابها على سبيل الفرض؛ لأن الغاية تأكيد أن كل ما ذُكر في جملة الشرط وما عُطف عليها من أحوال وجواب الشرط تأكيد للقسم، بمعنى أن كل ذلك لا ينفع الفتى شيئا، ولا يُغني عنه هول ما يلقاه في أول ليلة بقبره.

والافتراض قائم على أن الفتى لو عاش ألفًا من الأعوام، بتخصيص لفظ (الفتى) دون غيره؛ إشارة إلى وجود معاني الفتوة وقوة البدن والشباب، مؤكدًا تلك المعاني بالحال (مالك) ما أضيف إليه (أمره)؛ للدلالة على أن كونه متحكم في أمره قادر عليه وصف ثابت له ولازم لا يتغير، ثم أعقبه بأحوال أخرى ما بين مفردة كقوله: (متلذذًا، مبلغا) وجملة كقوله:(لا يعرف الآلام فيها مرة، ولا جرت الهموم بفكره)؛ تأكيد لعيشه عيشة ناعمة مدللة لا يشتكي فيها هَمًّا ولا ألما ولا حرمانا، مدعمًا هذه المعاني بلفظ العموم (كُلّ) المضاف مرة إلى النكرة (هنيَّة)؛ لإفادة التنويع، أي مُنعمًا بكل أنواع الهناء، ومرة مضافا إلى المعرفة (المُنى)؛ لإفادة الشمول والعموم لكل الأماني دون استثناء، ثم أشبع المعنى بالجار والمجرور (من دهره)؛ لاستقصاء تحقيق كل المُنى وبلوغها جميعا، ثم التعريف بـ(أل) التي للحقيقة والجنس في (الآلام، والهموم)؛ لتأكيد نفي معرفة الفتى للآلام مطلقا ولا الهموم، وناسب ذلك تأكيد النفي باسم المرة (مرةً)؛ للمبالغة في انتفاء حصول أي لون من ألوان الألم وأي صورة من صوره حتى ولو لمرة واحدة.

ويأتي جواب الشرط (ما كان ذاك يفيده) في البيت الرابع، فاسم الإشارة (ذاك) يشير إلى كل ما سبق من أحوال الفتى المفترضة، وتسلط النفي على (كان) فيه تقرير بانتفاء أي فائدة من تلك الأحوال قد تفيد الفتى المُنَعَّم ألفا من دهره، أو تخفف عنه ما يلقاه في أول ليلة في قبره، و(من) بيانية أفادت بيان علة النفي قبلها، وتنكير (عِظم) وإضافتها إلى (ما) الموصولة المبهمة لإفادة معنى التهويل، وبيان أنَّ ما يلقاه الفتى في قبره أمر عظيم مبهم، فناسب ذلك حذف المفعول به

للفعل (يلقى)؛ مبالغةً في عموم الفعل، ليتناول كل ما يقع في النفس من مخاوف عظيمة وأهوال مريعة.

- ويقول الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– : [1] (الطويل)

فـإنْ تكـنِ الـدُّنيا تُعَـدُّ نَفِيسـةً ... فـإنَّ ثـوابَ اللهِ أعلـى وأنْبَـلُ

وإنْ تكـنِ الأرزاقُ حظًـا وقِسْـمَةً ... فَقِلَّةُ حِرصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ

وإنْ تكـنِ الأمـوالُ للتَـرْكِ جَمعُهـا ... فما بـالُ متـروكٍ بِـهِ المـرءُ يَبخَـلُ

وإنْ تكـنِ الأبـدانُ للمـوتِ أُنْشِـئتْ ... فَقَتْـلُ امـرِئٍ لله بالسـيفِ أفضـل

بنى الإمام عليّ –رضي الله عنه– حججه على أسلوب شرطي، مقيدا الشرط بـ(إنْ)، والتي استخدمها هنا مع الشرط المقطوع بوقوعه لأغراض بلاغية سيأتي بيانها، وقد استمدت الحجج قوتها الإقناعية من التجربة والمعرفة التي يشهد بها الواقع، حيث تم الانطلاق من مقدمات يقينية ممثلة في جمل الشرط إلى نتائج حتمية ممثلة في جواب الشرط، وأول الحجج هي إن كانت الدنيا ذات قيمة في نفوس كثير من الناس (مقدمة)، ففعل الطاعات فيها ونيل رضا الله سبحانه وتعالى أعلى وأثمن (نتيجة)، فكان التقييد بـ(إنْ) دون (إذا)؛ لومًا وزجرًا وتوبيخا لكل من عظمت الدنيا في نفسه ولم يتزود منها للآخرة، فالأصل ألا يحدث ذلك إلا على سبيل الفرض كما يُفرض المحال، كما دلّت صيغة التفضيل في (أعلى وأنبل) على الزيادة المطلقة في العلو والنبل، أي أنها زيادة غير مقيدة بمفضل عليه، مما يثبت أن ثواب الله ورضاه خير من الدنيا وما عليها؛ لأنه أدخل في السمو والنبل مطلقا، وليس هناك ما يصح أن ينسب إليهما سوى ثواب الله ورضوانه.

وفي البيت الثاني يحتج لكون الأرزاق قسمةً ونصيبًا (مقدمة)، فيترتب على ذلك أن لا يحرص المرء كثيرًا في طلب الرزق، وأن قلة الحرص في الكسب أجمل (نتيجة)؛ لأن الحرص سلوك يتنافى مع اليقين بأن الرزق مقدر من الله –جل

[1] مقطوعة (مقابلات)، الديوان : ١٢٩.

وعلا- والحرص سلوك من لا يثق بما عند الله، نعم السعي لطلب الرزق مطلوب ومحمود، وعليه يُجازى العبد، ولكن لا ينبغي أن يبالغ المسلم في حرصه لطلب الرزق فيعيطه كل وقته وكأنه متوقف عليه، وفي إيثار التعبير بالظرفية في حرف الجر (في الكسب) دون (على) المناسب لفعل الحرص في الظاهر، فلم يقل: (على الكسب)؛ لأن في إيثار الظرفية تصوير لمخالطة الحرص على الكسب للنفوس، واستقراره فيها، وتمكنه منها تمكن الوعاء بما فيه مع العلم بأن الرزق مقدر، فناسب ذلك التقييد بـ(إنْ) دون (إذا) مع أن الشرط مقطوع بوقوعه؛ توبيخا لكل من بالغ في حرصه على الكسب مع علمه بأن ذلك لن يزيد فيما هو مقسوم له.

ويحتج في البيت الثالث بأن الأموال ستُترك يومًا ما (مقدمة)، فلم البخل بها؟ (نتيجة)، متعجبا منكرا عن طريق الاستفهام ممن يبخل بالمال، ولا ينفقه في مرضاة الله، فبنى جواب الشرط: (فما بال متروك به المرء يبخل) على الاستفهام؛ للفت انتباه المتلقي إلى ذم التعلق بالدنيا، وإنكار ذلك؛ لأن الدنيا مهما طالت فهي زائلة، والآخرة خير وأبقى.

وفي البيت الرابع احتجاج لحتمية الموت مؤكدًا عن طريق القصر بتقديم الجار والمجرور (للموت) على الفعل (أُنشئت)؛ لإفادة قصر نشأة الأبدان على الموت قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا إدعائيا؛ مبالغة في حتمية الموت، فانطلق من هذه الحقيقة المؤكدة (مقدمة) إلى النتيجة الحتمية وهي أفضلية الموت في سبيل الله، فقُدِّم الجار والمجرور (لله) على الجار والمجرور (بالسيف) للدلالة على شرف تلك القتلة الخالصة لوجهه جلَّ وعلا، ومن أجل إعلاء كلمته، فقُدم لكونه المعنى الأهم والغرض المنعقد عليه الكلام، وبيان أنه موت لا بدَّ أن تحرص كل النفوس عليه وتسعى إليه، ومما يُلحظ في الحجج التدرج بالمعنى من الأدنى إلى الأعلى، فارتقى من الأرزاق المقدرة ثم إلى الحرص على جمع الأموال وصولا إلى المصير المحتوم لذلك كله وهو الفناء والعدم.

– وفي مدح الكريم بعظيم صفاته يقول: [1] (الكامل)

وإذا طَلَبْتَ إلى كريمٍ حَاجَةً فلقاؤُهُ يَكفِيكَ والتَّسليمُ

وإذا رَآكَ مُسَلِّمًا ذَكَرَ الذي [2]حَمَّلْتَهُ فَكأَنَّهُ مَبرُومُ

البيتان بلا شك مدح فيهما احتجاج لسماحة الكريم، وجاء التركيب الشرطي بـ(إذا) مناسبا تمام المناسبة؛ لكونها تدل على تحقق الوقوع، ثم تنكير (حاجةً) للعموم، بمعنى أي حاجة يطلبها السائل لا يردَّه الكريم ولا يتغير ردُّ فعله من سماحة اللقاء وحسن الاستقبال فهو ثابت، دلت عليه جملة الشرط الاسمية: (فلقاؤه يكفيك والتسليم)، كما يُلحظ من تعدي الفعل (طلب) بحرف الجر (إلى) دون (من) أن الفعل أُشْرِبَ معنى (انتهى إلى)، وكأن الطالب من الكريم حاجة قد انتهى بطلبه هذا، وبلغ غايته المنشودة، فطلبه محقق وأمره مجاب، ثم عطف على جملة الشرط في البيت الأول جملة شرط أخرى في البيت الثاني بالواو لوجود المناسبة بينهما والتوسط بين الكمالين؛ فإذا كانت الأولى احتجاج لسماحة الكريم وحفاوته بالسائل تمهيدا لتحقيق طلبه، فجملة الشرط الثانية احتجاج لانجاز الكريم مسألة السائل وتحقق حصولها، لذا كان الشرط بـ(إذا)؛ لتحقق الوقوع، فضلا عن التعبير عن المفعول به بالاسم الموصول (الذي)؛ زيادة في تقرير الغرض المسوق له الكلام، فجملة الصلة (حمَّلته) أبرزت حرص الكريم في تلبية مسألة السائل، وتحمله إنجازها تحملا فيه احتشاد وإصرار على التحقيق، تم تصويره ذلك الأمر المطلوب في صورة الحاصل المُبرَمِ المُحْكَمِ النفاذ عن طريق التشبيه التمثيلي في جملة: (فكأنه مبروم)، إذ شبَّه حال وعد الكريم لسائله بإنجاز طلبه بحال من أبرم

---

[1] مقطوعة من بيتين بعنوان (الكريم والحاجات)، الديوان : ١٤٤.

[2] مبروم اسم مفعول من برم الأمر: أحكمه، والأصل فيه إبرام الفتل إذا كان ذا طاقين، وأبرم الحبل: أجاد فتله.

ينظر: لسان العرب: مادة: (ب ر م).

الحبل فجمع بين مفتولين في حبل واحد متين لا ينفك أبدا، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من إحكام أمر ما بصورة متقنة وحصوله على أكمل وجه، بالإضافة إلى دلالة العطف بالفاء في (فكأنه) التي تفيد سرعة ترتب الوعد بقضاء حاجة السائل على ذكرها له بلا إبطاء ولا ريث ولا مهلة.

المطلب الثالث: الاستفهام

لا شك أنَّ طرح الأسئلة يُعدُّ وسيلة مهمة لإثارة انتباه المتلقي، ودفعه إلى بيان موقفه إزاء قضية ما، أو موقف معين بعد تفكر وتدبر في مغزى السؤال، وهذا التنبيه " يكفي لتلقي كل ما يثار حول الفكرة من حقائق وبراهين تؤدي إلى رفضها أو قبولها أو الإقرار بها أو الخجل منها أو استنكارها أو استبعادها إلى آخر ما يعطيه الموقف، المهم أن يلتفت السامع وينتبه ويُستثار فكره، وينبعث حسه، ويواجه هذه الحقائق ثم ندعه يتعامل بوعيه ويتدبرها بفكره، وينتهي فيها إلى ما يراه"[1]، مما يعني أن الاستفهام يحمل في طيه قضية حجاجية تثير ذهن المتلقي، وتدعوه إلى إعمال فكره وحسه، وفي هذا استدراج من المتكلم للمخاطب ليحاجج نفسه بنفسه، فيقرُّ المعنى في نفسه، ويتمكن فضل تمكن.

- يقول الإمام عليّ –رضي الله عنه–:[2] (البسيط)

يا طالبَ الصَّفْوِ في الدُّنيا بلا طَلَبَتْ مَعْدُومَةً فايأسْ مِنَ الظَّفَرِ

واعلم بأنَّكَ ما عُمِّرْتَ مُمْتَحَنُ بالخيرِ والشَّرِ والمَيْسورِ والعُسْرِ

أنَّى تنالُ بها نفعًا بلا ضَرَرٍ وإنَّها خُلقتْ للنَّفْعِ والضَّرَرِ

استهلَّ الأبيات بالنداء بـ(يا) الموضوعة لنداء البعيد؛ لتنبيه طالبي الدنيا بلا كدر ولا نصب، وإيقاظهم من غفلتهم؛ لأنهم بهذا يطلبون محالا، فبأي شيء يظفرون سوى اليأس، فاستعار الصفو للرخاء والسعة والراحة، كما استعار الكدر للمشقة والهموم والآلام وغيرها من نوائب الدهر التي تكدر صفو الحياة، وبقوله: (طلبت معدومة) قد تم المعنى إلا أنه عطف عليها جملة أخرى (فايأس من الظفر) لإشباع المعنى وبسطه؛ قصدًا لإبراز الصورة بتمامها؛ ليرتدع كلُّ مَن غرتهم الأمانيُّ، وظنوا أنهم يحيون في الدنيا هانئين مُنعَّمين بلا ابتلاء ولا كدر.

---

[1] دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د محمد محمد أبو موسى: ٢٤٥.

[2] مقطوعة (طالب الصفو)، الديوان : ٨٤.

ويواصل في البيت الثاني تأكيد هذا المعنى، فأقام بناء البيت على أساليب من التوكيد الدالة على أن المرء فترة بقائه في الدنيا مبتلى بالخير والشر والعسر واليسر معا، تصديقا لقول الله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[1]، فصدَّر البيت بفعل الأمر (اعلم)؛ تنبيها على أن ما يأتي بعدها كلام ذو شأن وبال، ثم (إنَّ) المؤكدة واسمية الجملة، وإبراز تقلبات الدنياعن طريق الطباق بين (الخير والشر) وبين (الميسور والعسر)، ثم دلالة (ما) المصدرية الزمانية؛ التي أفادت ابتلاء الإنسان في الدنيا مدة بقائه فيها، ثم يأتي الاستفهام في البيت الثالث (أنَّى تنال بها نفعا بلا ضرر)؛ ليتمم به وسائل الإفحام لكل واهم يطلب الدنيا بلا كدر، فيقطع عليه السبل إلا أن يقرَّ بالمعنى المقصود، ويحمله على قبوله، والاستفهام هنا بغرض (الاستبعاد) أي من أين ينال الإنسان في الدنيا النفع فقط دون مصاحبة الضرر، كما أُشرب الاستفهام أيضا معنى الإنكار والتجهيل لمن يظن ذلك، ثم عقَّب بجملة التذييل المؤكدة: (وإنها خُلقت للنفع والضرر)، تذييل غير جارٍ مجرى المثل، حملا للمتلقي على الإقرار بمضمون المعنى المؤكد بجملة التذييل، مشيرًا بصيغة الماضي المبني للمفعول (خُلِق) إلى انقضاء الأمر وتمامه من الخالق –عزَّ وجلَّ– التي اقتضت حكمته انطواء الحياة الدنيا على الخير والشر مجتمعين معا؛ ليبتلي بها عباده على قدر إيمانهم؛ فيمحصهم ويُظهر مدى نقاء معدنهم وقوة إيمانهم، فعلى المؤمن أن يصبر ويرضى بأمر الله وقضائه لينال أجر الصابرين الشاكرين.

– وفي الحث على التحلي بالحِلْمِ والصفح عن الأذى يقول:[2] (الطويل)

وكُنْ مَعْدِنًا للحِلمِ واصفحْ عنِ الأذى ... فإنَّكَ لاقٍ ما عَمِلْتَ وسامعُ

أحِبَّ إذا أحبَبْتَ حُبًّا مُقارِبًا ... فإنَّك لا تدرِي متى أنتَ نازِعُ؟

وأبغِضْ إذا أبغَضْتَ بُغْضًا مُقارِبًا ... فإنَّك لا تدرِي متى أنتَ راجِعُ؟

---

[1] سورة الأنبياء : (٣٥).

[2] مقطوعة (معدن الحلم)، الديوان : ١٠١.

الأبيات عبارة عن مجموعة من الحجج يقدمها الإمام عليّ –رضي الله عنه– في قالب من النصائح بأساليب عدة، أهمها دقة انتقاء الألفاظ باعتباره رافدا مُهمًّا يرفد الحجاج، ويؤثر في المتلقي، ويستميله إلى المعنى المقصود من الكلام، فوظَّف صيغة الأمر في (كُنْ ، اصفح) لتمثل دعوة واضحة لضرورة التحلي بالحلم والصفح، فيحث المسلم على أن يكون معدنا للحلم، أي أصلا له[1]، ومنبعا فياضا به، وكلمة معدن تومئ إلى معنى الصلابة والقوة والثبات وكلها معانٍ تتلاءم ومعنى الحلم: (الأناة والعقل والتثبت في الأمور) [2]، ثم انتقل عن طريق العطف بالواو إلى خُلقٍ آخر وهو الصفح، فارتقى بالمعنى من خُلُق عظيم إلى خُلُق أعظم؛ فإذا كان الحلم يتحقق بالأناة والتريث وعدم العجلة في العقوبة والانتقام من المذنب، فالصفح لا يتحقق بترك العقوبة فحسب كالعفو بل المصفح يترك حتى العتاب والشكوى مع الإحسان إلى المسيء[3]، ثم قيَّد فعل الصفح بالجار والمجرور (عن الأذى) مع أن الفعل يدل عليه ضمنا؛ لأن مغزى الكلام معقود عليه، وأردف بجملة مؤكدة: (فإنَّكَ لاقٍ ما عَمِلْتَ وسامعُ)؛ تعليلا لهذا النصح الوارد بصيغة الأمر في (كن– واصفح)، وتمكينا للمعنى بإزالة ما في نفس المتلقي من تساؤلات تجعله يتردد في قبول النصح.

ثم يأتي في البيتين التاليين بتوجيه المتلقي ونصحه بالاعتدال في المحبة والبغض، وعدم الإيغال في مشاعره مع الناس؛ صونًا للنفس من تقلبات المشاعر والأحوال، عارضًا تلك النصيحة في بيتين حذا في صياغتهما حذوًا واحدًا، حيث صدَّر البيتين بصيغة الأمر (أحبَّ، أبغض)؛ حرصًا منه على الامتثال للأمر، ثم

---

[1] المَعْدِن: بكسر الدال هو المكان الذي يثبت فيه الناس ولا يتحولون عنه شتاء ولا صيفا، ومعدن كل شيء أصله ومبدؤه. لسان العرب: مادة (ع د ن).

[2] لسان العرب: مادة (ح ل م).

[3] صَفَحَ يصفَحُ صَفحًا: أعرض عن ذنبه، يقال صفحتُ عن فلان: أعرضت عنه فلم أؤاخذه به. لسان العرب : مادة (ص ف ح).

التقييد بـ(إذا) الشرطية، للدلالة على تحقق الوقوع، ثم حذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه، والتقدير: (إذا أحببت فأحبّ حبًّا مقاربًا، إذا أبغضت فأبغض بغضًا مقاربًا)، ثم تأكيد الفعلين بالمفعول المطلق المبين للنوع؛ تحديدًا لمقدار هذا الحُبِّ ومقدار ذلك البغض، مكتفيا بالاقتصاد في كليهما دون إفراط ولا تفريط، وأردف كلا الشرطين بجملتين تعليليتين مؤكدتين في الشطر الثاني من البيتين: (فإنك لا تدري متى أنت نازع؟)، (فإنك لا تدري متى أنت راجع؟)، بناهما على التوكيد بإنَّ واسمية الجملة والاستفهام التقريري، دافعا به المخاطب إلى التسليم بدعواه، والإقرار بانتفاء معرفة وقت انقلاب صداقة الصديق عداوة، ولا معرفته بوقت انقلاب عداوة العدو صداقة، ومن ثم وجب الاعتراف والإذعان بضرورة التوازن والاعتدال في بث المشاعر حُبًّا كانت أو بُغضًا؛ ضمانا لاستمرار حلقة التواصل، ودوام المودة والإخاء بين المسلمين.

- وفي مدح القناعة والرضا بما قدَّره الله -جلَّ وعلا- يقول: [1] (الوافر)

أفادتني القناعَةُ كُلَّ عِزٍّ وهلْ عِزٌّ أَعَزُّ منَ القناعَه

يدعو الإمام عليّ -رضي الله عنه- في البيت السابق إلى فضيلة خُلُقية عظيمة وهي القناعة، دعا إليها وحثَّ عليها بأسلوب هادئ مرسل من التوكيد؛ لأنه يُخبر عمَّا جرَّبه وعايشه، ومن ثَمَّ يُخرج هذه التجربة الفردية عن طريق صبها في قالب من الحكمة إلى نطاق أوسع ومجال أرحب وهو المجال الإنساني كله، فيحرص -رضي الله عنه- على إقناع المتلقي بحُجَّته وتجربته المعاشة من خلال توظيف صيغة الماضي (أفاد)؛ لإفادة تحقق وقوعه، وتمام حصوله، ثم وقوع الفعل (أفاد) على المفعول به (كُلَّ) المضاف إلى نكرة (عِزٍّ)؛ لتأكد حصول معنى العموم؛ لتتناول الإفادة كل معنى يندرج تحت مسمى كلمة (عِزّ) من القوة والبأس والمجد والشرف والسؤدد والإباء والرفعة وغير ذلك.

---

[1] مقطوعة (صبر ساعة)، الديوان : ٩٩.

ثم يزيد في تأكيد المعنى وتقويته في نفس المتلقي، فأردف هذا المعنى بجملة (وهل عزٌّ أعزُّ من القناعه)، وهي جملة إنشائية لفظا خبرية معنى؛ فالاستفهام بمعنى النفي، أي ليس هناك عزٌّ أعزُّ من القناعة، فكان الأولى الفصل لـ(كمال الانقطاع بلا إيهام)؛ لاختلاف الجملتين إنشاء وخبرا، وعليه فالواو ليست عاطفة بل واو الاستئناف، من قبيل عطف القصة على القصة، لأن مضمون الكلام قد دخل مدخلا جديدا، والقصة المعطوفة هنا هو الاحتجاج بأن القناعة فاقت كل عزٍّ يُعرف، وصارت هي أعزُّ من العزِّ نفسه، فوظَّف الاستفهام بمعنى النفي مستخدما (هل) التي لها مزيد اختصاص بالفعل، وهنا دخلت على الاسم؛ فدلَّ العدول هنا على مزيد العناية بما تفيده الجملة الاسمية، أي دوام الاقتناع والتسليم بتلك الحقيقة الثابتة، وهي الإقرار بأنه لا يوجد عزٌّ أعزُّ من القناعة، فضلا عن أن النفي بطريق الاستفهام أبلغ وآكد في انتفاء وجود شيء قط أعزّ من القناعة؛ ذلك لأن " في الاستفهام إثارة وإيقاظ وتنبيه لا تجده في هذا الأسلوب التقريري الهادئ الذي بُني على محض النفي"[1]، كما أنه –رضي الله عنه– عند استخدامه الاستفهام بدلا من النفي الصريح كأنه يطلب من المخاطب أن يبحث عن وجود ما هو أعزُّ من القناعة، فإذا ما جَدَّ واجتهد في طلب ذلك ولم يجد أيقن بالنفي وتنبَّه أنه لا يوجد ما هو أعز منها للمرء، ومن ثَمَّ حمله ذلك على الاقتناع والإذعان بقبول الدعوى والمعنى المرام تقريره في نفسه.

---

[1] قراءة في الأدب القديم، أ.د محمد محمد أبو موسى: ٢٠٦، مكتبة وهبة عابدين– القاهرة، ط٤ ٢٠١٢م.

المطلب الرابع: التذييل

عرَّف العلويّ التذييل بأنه:"تفعيل من قولهم ذيَّل كلامَهُ إذا أعقبه بكلام بعد كمال غرضه منه، فأمَّا معناه في اصطلاح علماء البلاغة: فهو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد، وتقرير لحقيقة الكلام، وذلك التحقيق قد يكون لمنطوق الكلام، وتارة يكون لمفهومه فهذان وجهان"[١]، فإذا كان المقصد الأول من التذييل هو توكيد المعنى وتقريره فمفهومه حِجَاجي، ويُعدُّ وسيلة مهمة من وسائل الحجاج يستعملها المتكلم لإقناع السامع، وإزالة ما يخالج نفسه من شُبه واحتمالات، ويذكر أبو هلال العسكري فضل التذييل في الكلام، فيقول: "للتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحا، والمقصد اتضاحا.....، وينبغي أن يُستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة؛ لأن تلك المواضع تجمع البطيء الفَهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عقد الذهن اللقن، وصح للكليل البليد"[٢].

– ومن توظيف الإمام عليّ– رضي الله عنه– للتذييل مدعمًا حججه قوله:[٣] (الكامل)

واختَـرْ قَرِينَـكَ واصـطَفِيهِ تَفَـاخُرًا إنَّ القَـرِينَ إلـى المُقـارِنِ يُنْسَـبُ

البيت حث على الدقة في اختيار الصديق، والعناية في الانتقاء، فارتقى بالمعنى من الأدنى إلى الأعلى عن طريق العطف بين الفعلين (اختر، واصطفِ)؛ فالاصطفاء فيه اختيار أدق؛" اختيارك الشيء: أخذك خير ما فيه في الحقيقة، أو

---

[١] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلويّ اليمني، قدَّم له أ.د إبراهيم الخولي: ١١١، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٩م.

[٢] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم : ٣٣٩، المكتبة العصرية– بيروت ٢٠١٣م.

[٣] قصيدة (القصيدة الزينبية)، الديوان : ٤٥.

خيره عندك، والاصطفاء: أخذ ما يصفو منه"[1]، فأشار بذلك الارتقاء إلى المبالغة في الحرص وتحري الدقة عند اختيار الصاحب معللا سبب ذلك الاهتمام وتلك العناية بالمفعول لأجله (تفاخرًا) الوارد بصيغة التفاعل؛ لتعني أن مصاحبة الأخيار لا تخلو من التبادل في الفخر فيما بينهما، والتباهي بصداقة كلا منهما للآخر، لذا عبَّر عن الصاحب بالقرين؛ فعيل من "قَرَنَ الشيءَ بالشيءِ وقَرَنَهُ إليه يَقْرُنُهُ قَرْنًا: شَدَّهُ إليهِ، والقَرَنُ: الحبل الذي يُشَدَّان به"[2]، فشبَّه الصاحب الملازم لصاحبه بالقرن بين الشيئين بحيث لا ينفصلان ولا يتفرقان، ثم دعَّم حجته –وهي ضرورة توخي الحذر في اختيار الصاحب– بجملة التذييل المؤكدة في الشطر الثاني: (إنَّ القرين إلى المُقارن يُنسبُ)، تذييل مؤكِد لمضمون الجملة التي قبله جارٍ مجرى المثل، يؤكد أن المرء يشابه مَن يصحبه في السيرة والأخلاق، ويتأثر به حتما في السلوك والتصرفات، فاستمدت الحُجَّة قوتها الإقناعية من خلال التجربة العملية، والمعرفة التي يشهد بها الواقع الحسي، مما يحمل المتلقي على التسليم بصدق الحُجَّة وامتثال الأمر.

– ويقول أيضا في وجوب شكر الله على نعمه، وكيفية الحفاظ عليها: [3] (المتقارب)

إذا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعِهَا فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

إن توظيف اسم الشرط (إذا) يحمل أبعادا حجاجية؛ لأن (إذا) لا تدخل إلا على الفعل المتحقق الوقوع، فدلَّ التقييد بها على أن جميع العباد من المؤمنين والكافرين والصالحين والطالحين جميعهم في زحام من نعم الله التي لا تعدُّ ولا تُحصى، مما يستلزم شكره سبحانه وتعالى على فضله ومنِّه، وجملة الشرط (إذا

---

[1] الفروق اللغوية، للإمام الأديب أبي هلال العسكري، ت عماد ذكي البارودي: ٣٠٤، دار التوفيقية للتراث والطبع والنشر.

[2] لسان العرب: مادة (ق ر ن).

[3] مقطوعة (ربي الحكم)، الديوان : ١٣٨.

كنت في نعمة) تمثل المقدمة، وجملة الجواب (فارعها) تمثل النتيجة، فالبيت حُجَّة في وجوب شكر المُنْعِم –جلَّ وعلا– على نعمه، والحفاظ عليها ببذلها فيما يرضيه؛ لأن ما عند الله تعالى لا يُنال إلا بطاعته.

وقد أثارت الجملة الشرطية في نفس المتلقي تطلعًا لمعرفة سبب رعاية النعمة، فأسعفتها جملة التذييل المؤكَدة في الشطر الثاني (فإنَّ المعاصي تُزيل النعم)، تذييل مؤكِد لمضمون جملتي الشرط والجزاء وجاري مجرى المثل، بمعنى أن الذنوب تُذهب النعم وتحل بدلا منها النقم، فالطاعة من الأسباب الجالبة لسعة الرزق، والعكس صحيح فالمعصية آفة النعمة المانعة لدوامها، وقد اجتمع في جملة التذييل الترهيب والترغيب معا؛ فأمَّا الترهيب مفاده تعريف كل من (المعاصي والنِّعم) بلام الاستغراق والحقيقة، إشارة إلى أن المعاصي بجميع أنواعها تزيل النِّعم كافة، أمَّا الترغيب فقد أومأت إليه صيغة المضارع (تُزيل) الدالة على التجدد والحدوث؛ أي أن إزالة المعاصي لجميع النعم أمر يتكرر مع تكرار المعصية، ويتجدد بتجددها، فيحمل بشرى لمن أقلع عن المعاصي واستبدلها بالطاعة والتوبة إلى الله جل ثناؤه، فإن الله يبدله بعد العسر يسرا، وبعد الضيق فرجا، وبعد الذُّل عزًّا.

– وفي الحث على طلب العلم وتحرير العقل من قيود الجهل والأوهام، يقول: [1]

ألا إنَّما الإنسان غِمدٌ لِعَقْلِهِ ولا خَيْرَ في غِمْدٍ إذا لم يَكُنْ نَصْلُ

قد ميَّز الله عزَّ وجلَّ الإنسان وفضَّله على سائر المخلوقات بالعقل، وهو مدار التكليف، لذا يجب على كل إنسان أن يرتقي بعقله عن طريق العلم والمعرفة والتدبر والتفكر في كل ما حوله، ولعظم هذا المعنى وشرفه استفتح الإمام عليّ –

[1] مقطوعة (آفات)، الديوان : ١٢٨.

رضي الله عنه- البيت بـ(ألا) الاستفتاحية التي تفيد التنبيه[١] فضلا عن إفادتها معنى التحضيض والتلطف في العرض[٢]، والتودد في الطلب برفق ولين، فناسب ذلك توكيد المعنى عن طريق القصر بـ(إنَّما) التي تأتي مع المعاني المأنوسة المشهورة التي لا ينكرها المخاطب، فقصر حقيقة الإنسان على كونه وعاء لعقله، قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا، فشبَّه ضمنا العقل المتوقد بالسيف اللامع الصارم في قوة الحسم.

ثم رتَّب على هذه الحقيقة المعلومة لدى المخاطب دليلا آخر يبرهن به على قيمة العقل المستنير بالعلم، فذيَّل بجملة (ولا خير في غمد إذا لم يكن نصلُ) تذييلا جاريًا مجرى المثل داعمًا لتلك النتيجة الحتمية المغلفة بقوة الحُجَّة المستقاة من الواقع، فإذا تقرر عن طريق القصر أنَّ الإنسان غمد لعقله، فيترتب على ذلك أن الإنسان بلا عقل متدبر مستنير كالغمد بلا سيف، في انتفاء الفائدة في كليهما، ولا خير يُرجى من ورائه، فأشار عن طريق تسلط النفي على النكرة (خير) إلى أنه لا خير قط يُنتظر منه، فكان للتذييل دوره البارز والملموس في تقوية الحُجَّة، وإقناع المتلقي بالغاية المقصودة من الخطاب، وهي أن العلم يصقل شخصية الإنسان، ويحرر عقله من قيود الجهل والأوهام، وأن حقيقة المرء تكمن في عقله وطريقة فكره وتأمله في بديع خلق الله تعالى من حوله.

---

[١] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري، ت محمد محيي الدين عبد الحميد: ١/٨٠، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ١٩٩١م.

[٢] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري، ت محمد محيي الدين عبد الحميد: ١/٨٢.

المبحث الثاني: أساليب التصوير الحجاجية

يتضمن المبحث ثلاثة مطالب:

الأول: التشبيه التمثيلي.

الثاني: الاستعارة.

الثالث: الكناية.

المطلب الأول: التشبيه التمثيلي

يسهم التشبيه التمثيلي في إقناع المتلقي؛ لما له من فضل في تحريك النفوس إلى المعنى المقصود سواء أكان مدحا أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك؛ لأن التشبيه التمثيلي يرفع من قدر المعاني ويُخرج الخفي منها في صورة الجليّ، والبعيد في صورة القريب، ويبرز الحجة في صورة مدعومة بالدليل والبرهان، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في مَعرضِهِ، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبهةً، وكسبها منقبةً، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها..... فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم..... وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر "[1].

– وقد وظَّف الإمام عليّ –رضي الله عنه– التشبيه التمثيلي بغية الإقناع بحججه، فيقول[2]: (الوافر)

وذي سَـــفَهٍ يُـــواجِهُني بِجَهْـــلٍ وَأَكْـــرَهُ أَنْ أَكُـــونَ لَـــهُ مُجِيبـــا

يَزِيـــدُ سَـــفَاهةً وَأَزِيـــدُ حِلْمًـــا كَعُـــودٍ زَادَ بـــالإحراقِ طِيبـــا

أراد –رضي الله عنه– أن يحتجَّ لصبره على سفاهة السفيه، وردِّ إساءته بالسكوت عنه، وتجاوزه بالحلم والصبر، فأشار إلى أن السفاهة طبع في ذلك السفيه عن طريق إضافة (سفه) إلى (ذي)؛ للدلالة على ملازمته للسفه، وناسب ذلك التعبير بصيغة المضارع (يواجه)؛ للدلالة على المبالغة في طيش وجهل ذلك السفيه الذي يُكثر من مواجهة الإمام (عليّ) بسفاهته كلما قابله وجها لوجه، فضلا

---

[1] أسرار البلاغة للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر: ١١٥، مطبعة المدني بالقاهرة ط١ ١٩٩١م.

[2] مقطوعة (زاد بالإحراق)، الديوان : ٣٠.

عن إفادة التنكير في (جهل) معنى التكثير، ورغم ذلك تحلى –رضي الله عنه– بالصبر والحلم فلم يردّ عليه الإساءة بمثلها، ثم آثر التعبير بالمصدر الموؤل دون الصريح في جملة: (وأكره أن أكون له مُجيبا)؛ لما في دلالة الفعل المضارع من معنى الاستقبال والتجدد والحدوث، فأفاد أنه –رضي الله عنه– يكره مجاراة السفيه بجهله، ولا يجيبه صبرا وحلما، وصدور ذلك منه وتجدده في كل وقت تجددت فيه الإساءة من السفيه، ومثل هذا الصنيع يصعب على الكثيرين تصوره فضلا عن الاقتناع به؛ لذا رفع –رضي الله عنه– الشك في قضيته بالتشبيه التمثيلي في البيت الثاني، والذي أقام به الحُجَّة على صدق دعوته، فشبَّه حال زيادة السفيه في طيشه وسفاهته مقابلة بازدياده –رضي الله عنه– حلما وصبرا عليه، بحال عود الطيب الذي تنتشر رائحته وتزداد بالإحراق، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من ظهور فضل الشيء وقيمته باتصاله بشيء آخر شديد الضرر، فلامس هذا التصوير الحي الصادق خلجات النفس، حيث جاء التمثيل مستلبا من عالم الواقع المحسوس الذي لا يمكن دفعه أو إنكاره، فخرجت المعاني المعقولة في صورة محسوسة تألفها النفس وتطمئن لها، مما زاد الحُجَّةَ قوةً ووضوحا وقبولا.

– وفي ذم النفاق وزيف المشاعر يقول: [1] (البسيط)

النَّاسُ فِي زَمَنِ الإقبالِ كالشجَرَهْ وَحَوْلَها النَّاسُ مَا دَامَتْ بها الثَّمَرهْ

حتَّى إذا ما عَرَتْ من حِمْلِها عنها عُقُوقًا وقد كانوا بِها بَرَرَه

في البيتين بيان لحال المنافقين الذين تتقلب أحوالهم حسب أهوائهم ومصالحهم، ومثل هؤلاء يكثرون في كل زمان، فشبَّه حال مَن يداهنون الناس من أجل مصالحهم وقت الرخاء المكني عنه بإقبال الدنيا، والتفافهم حول مَن يحقق لهم أهدافهم، ثم انصرافهم عنه بعد زوال المصلحة وتحقيق المنفعة بحال التجمع حول الشجرة المثمرة، والتردد عليها ما دامت مثمرة، ثم الانفضاض والتخلي عنها بعد

[1] مقطوعة (قلت مروءات أهل الأرض)، الديوان : ٧٤، ٧٥.

زوال ثمارها، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من تجمع فيه حركة وتزاحم رجاء المنفعة يعقبه انصراف وتخلي لذهاب المنفعة، وقد عبَّر عن ذلك التعلق المؤقت بكلمتي (ما دام) و (حتى) الغائية؛ للدلالة على الإلحاح في الملازمة المؤقتة بحصول المنفعة بدلالة (ما) المصدرية، أي وقت دوام الثمرة (المنفعة)، كما عبَّر عن التخلي والانفضاض لزوال المنفعة بتقييد الشرط بـ(إذا)؛ تحققا لحصول ذلك الصنيع القبيح منهم لنفاقهم، ثم جسَّد إنكاره ورفضه هذا الفعل عن طريق استعارة العقوق للتخلي لزوال المنفعة، والبر لمداومة الوصل وقت حصول المنفعة، فأشار إلى انحطاط ذلك التحول السريع من البر إلى العقوق ودنائته، مصورًا هؤلاء المنافقين الذين لا يعرفون سوى الأنانية وحب الذات ولا يدينون بغير مصالحهم دينا بصورة واضحة جلية تبرز قبح فعالهم وسوء ما انطوت عليه قلوبهم، فأمثال هؤلاء يحب الاحتراز منهم والبعد عن مخالطتهم، لأنهم يتنكرون بهيئة الأصدقاء لتحقيق ما يرمون إليه، وهم أكثر الناس ضررًا وشرًّا.

– ويقول –رضي الله عنه– في ضرورة حفظ السرّ واستوداعه الأمناء المخلصين: [1] (البسيط)

لا تُودِعِ السِّرَّ إلا عِنْدَ ذي كرمٍ والسِّرُّ عند كِرامِ النَّاسِ مَكْتُومُ

والسِّرُّ عندي في بيتٍ لهُ غَلَقٌ قد ضَاعَ مِفْتَاحُهُ والبيتُ مَخْتُومُ[2]

البيت الأول احتجاج لضرورة إيداع السرّ عند كريم مؤتمن حافظ للعهد، لذا ساقه مؤكدًا بالقصر بطريق النفي والاستثناء؛ للعناية بتقريره، فقصر إيداع السر على الكريم قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا، معبِّرًا عن تأصل كرم

---

[1] مقطوعة (لا تُودع السرَّ)، الديوان : ١٤٣.

[2] الغَلَقُ والمِغْلاقُ بالتحريك: هو ما يُغْلَقُ به البابُ ويُفْتحُ، والجمع أغلاق.
ختم وطبع في اللغة بمعنى واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء.
لسان العرب: مادة (غ ل ق)، ومادة (ط ب ع).

الأخلاق فيه بـ(ذي) المضافة إلى (كرم)؛ إشارة إلى ملازمته له ملازمة الصحبة، فكرم الخلق طبع متأصل فيه، ثم ذيَّل بجملة (والسر عند كرام الناس مكتوم) تذييلا يجري مجري المثل؛ لدعم حجته، بمعنى أن مِن حق مَن كان عندهم السر مكتوم وهم الكرام أنْ تودع عندهم الأسرار وتكون في مأمن، فازداد المعنى اتضاحا وتقريرا، وصياغة جملة التذييل جملة اسمية؛ للدلالة على أن هذه حقيقة ثابتة، وهذا دأب الكرام الذي لا يتغير، ثم انتقل بعد تقرير حجته عقليا، والبرهنة على صدقها نظريا إلى البرهنة بالطريق الحسي الملموس عن طريق التمثيل في البيت الثاني، فشبَّه حال كتمانه السر وحفظه داخله بحيث لا يطلع عليه أحد بحال بيت عليه غَلَقٌ ضاع مفتاحه، فالبيت مستوثق على ما فيه ،لا يمكن أن يدخله أحد أو يطَّلع على ما فيه، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من المبالغة في إحكام الغلق على الشيء واستوثاقه بصورة لا يمكن الاطلاع على ما بداخله، ومن خلال النظر في التشبيه يلحظ عنايته –رضي الله عنه– بكثرة التفصيل في جانب المشبه به؛ بيانا لمقدار حفظه للسر، وتنبيها للمتلقي عن كيفة كتمان السرِّ، لذا لم يشبِّه حاله بحال البيت فقط بل قيَّده بكونه بيتا له غَلَقٌ، ثم وصف هذا الغَلَقَ بجملة (قد ضاع مفتاحه)؛ ليقطع السبيل على كل منكر أو شاكٍ في احتمالية كشف السر، ولم يكتف بذلك مع وفائه بالغرض بل بيَّن هيئة البيت بجملة الحال (والبيت مختوم)، وبناها على الاسمية الدالة على الثبوت والدوام؛ تمكنا من إحكام الغلق بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء، وكل هذا التفصيل في صورة المشبه به توثيقا لمعنى الأمانة في أبهى صورها ممثلة في جانبه –رضي الله عنه–، فكان للتمثيل دوره البارز والملموس في دعم الحجة وعملية الإقناع بمضمون الفكرة والاطمئنان بها؛ لتصويره الأمر المعنوي المكنون وإخراجه في صورة مشاهدة واضحة جلية.

المطلب الثاني: الاستعارة

الاستعارة كما عرَّفها الإمام عبد القاهر هي:" أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارية"[١]، وتُعدُّ الاستعارة من الآليات الحجاجية بلا منازع؛ إذ يوظفها المتكلم من أجل الاقناع والتأثير في المتلقي؛ لأنها أبلغ من الحقيقة في بلوغ المعنى المراد، يقول أبو هلال العسكري في فضل الاستعارة: "وفضل الاستعارة على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل الحقيقة"[٢]، وذلك لقدرة الاستعارة على تجسيد المعنويات وبث الحياة في الجمادات، فتصير بها المعاني العقلية المجردة ماديات محسوسة مشاهدة، وينقلب بها الساكن متحركا يفيض بالحياة والحيوية.

وقد تضمنت حِكَمُ الإمام عليٍّ –رضي الله عنه– العديد من الاستعارات بأنواعها، فكان لها دورها الحجاجي المؤثر في الإقناع، من ذلك قوله:[٣] (الكامل)

ذَهَبَ الوفاءُ ذَهابَ أمْسِ الذَّاهبِ فالنَّاسُ بين مُخاتِلٍ ومُوارِبِ

يُفْشُونَ بَيْنَهُمُ المَوَدَّةَ والصَّفَا وقُلُوبُهُمْ مَحْشُوَّةٌ بِعَقَارِبِ

الاحتجاج هنا لذهاب الوفاء بين الناس، فشبَّه ذهابه بذهاب أمس الذاهب في استحالة الرجوع مرة أخرى، مبالغة في شيوع الغدر والخداع وانتشارهما، فبقى الناس بعد اندثار الوفاء فيما بينهم ما بين مُخاتل ومُوارب، وكلاهما مخادع يُظهر خلاف ما يضمر إلا أن المُوارب أشدُّ خداعا وأكثر ضررا؛ فالخَتْلُ: " تَخَادُعٌ عن غفلة،

---

[١] أسرار البلاغة، للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر: ٣٠.

[٢] كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم : ٢٤١.

[٣] مقطوعة (ذهب الوفاء)، الديوان : ٢٥.

والورب: المُداهاة والمُخاتلة: والوَرْبُ: الفساد"[1]، وانحصار الناس جميعا بين مخاتل وموارب أمر يحتاج إلى توضيح كيف يعامل الناس بعضهم بعضا؟! وهنا يأتي دور الاستعارة في البيت الثاني لتصوير التناقض الحاصل بين ما يختلج صدور هؤلاء المخادعين وبين ما يظهر من سلوكهم الظاهري؛ إذ يفشون الصفا والمودة فيما بينهم بينما تنطوي قلوبهم على الحقد والبغضاء وغيرها من فاسد الطباع، فاستعار العقارب لأمراض قلوبهم هذه بجامع الإيذاء وإلحاق الضرر في كل، مُعبِّرًا بصيغة المضارع (يفشون)؛ لإحضار صورة إفشائهم المودة ونشر الصفا فيما بينهم مجسدة مشاهدة، فيرى المتلقي كيف تحتال هذه النفوس المريضة، وتكذب على نفسها وعلى الناس من حولها، فتنفث سُمَّها فيهم خُفية، بينما عبَّر بالاسمية في الجملة الحالية: (وقلوبُهم محشوَّةٌ بعقارب)؛ لإفادة أن فساد طباعهم أمر ثابت فيهم، وأن انطواء قلوبهم على الأذى لغيرهم أمر دائم، ثم كان لاستخدام لفظة (محشوَّة) أثرها في إشباع المعنى وإثرائه؛ إذ أبرزت تلك القلوب بأنها لا تنطوي إلا على الأذى والخداع وليس بها مكان ولو ضئيل لحب الخير وفعله؛ لأنها قد حشوت وامتلأت حتى فاضت بشتى أنواع أمراض القلوب، وكأنها تأبى إلا أن تظل هكذا ممتلئة بهذ الأدواء النفسية البغيضة.

- ويقول –رضي الله عنه– مُحذرا من الظلم وعاقبته: [2] (الكامل)

واحْـذَرْ مِـنَ المَظْلُـومِ سَـهْمًا صَـائِبًا واعْلَـمْ بـأَنَّ دُعَـاءَهُ لا يُحْجَـبُ

البيت تحذير من الظلم؛ لأنه جالب للنقم وسرعة العقاب في الدنيا قبل الآخرة، فحذَّر –رضي الله عنه– بصيغة الأمر (احذر) مرشدا وناصحا ومحذرا من دعوة المظلوم، فهي دعوة مُجابة، تُفتح لها أبواب السماء، وليس بينها وبين الله حجاب، فاستعار السهم الصائب لدعوة المظلوم بجامع النفاذ والسرعة وتحقق الإصابة في

---

[1] ينظر لسان العرب: مادة (خ ت ل)، ومادة (و ر ب).

[2] القصيدة الزينبية، الديوان : ٤٦.

كل على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، فتجسدت الدعوة عن طريق الاستعارة بصورة سهم صائب لا يخيب هدفه؛ لبيان مدى نفاذ دعوة المظلوم، وانتصار المولى –جلَّ وعلا– لها من الظالم، ثم عطف على هذه الحُجَّة المجسَدة ما يزيد تأكيدها في الشطر الثاني بجملة التذييل: (واعلم بأنَّ دعاءَه لا يُحجَبُ)، تذييل مؤكد لمضمون الجملة قبله غير جارٍ مجرى المثل، فصدَّر الجملة بفعل الأمر (اعلم)؛ للتنبيه ولفت النظر إلى ما يأتي بعدها من معانٍ غاية في الأهمية، ثم التوكيد بـ(إن) واسمية الجملة، لحصول الاقتناع بتهويل أمر الظلم لأن عاقبته وخيمة، فليحذرْ الظالم دعوة المظلوم عليه فليس بينها وبين الله حجاب.

– وفي موطن آخر يستخدم السهام النافذة لكن هنا للتعبير عن حتمية الموت، فيقول: [1] (البسيط)

لا تأمنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ولو تَمَنَّعتَ بالحُجَّابِ والحَرَسِ

واعلمْ بِأنَّ سِهَامَ الموتِ نافِذَةٌ فِي كُلِّ مُدَّرَعٍ مِنَّا ومُتَرَّسِ

ينصح الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– في البيتين كل مسلم ألا يغترّ بالدنيا وزخرفها، فالموت يأتي حتما لا رادّ له، فعبَّر عن طريق التقييد بـ(لو) الشرطية الامتناعية عن حتمية الموت ونفاذه مهما كان الحذر، فضلا عما تضفيه صيغة المبالغة في (تمنَّع) وصيغة الجمع في (الحُجَّاب، والحرس) من أخذ كافة وسائل الاحتياط والحذر الشديد منه لكن بدون جدوى فالموت واقع لا محالة، وهذه حقيقة لا يتطرق إليها شكٌّ، فهو واقع معاش لكنه يُلحُّ على تأكيدها بعدة وسائل في البيت الثاني؛ لتغافل الناس عنها، فيقبلون على الدنيا معلِّقين أنفسهم بآمالها الكاذبة، فاستخدم فعل الأمر (اعلم)؛ لفتًا لأهمية المعنى وخطورته، ثم الاستعارة المكنية المغلفة بالتوكيد بـ(إنَّ)، فصور الموت بصورة رام مُصيب لا يخيب هدفه أبدا، بجامع الإصابة النافذة وتحقق الهدف في كل، ثم قيَّد هذه السهام بالنعت (نافذة)؛

[1] مقطوعة (السفينة لا تجري على اليبس)، الديوان: ٩٢.

تأكيدًا لتحقق إصابتها وبلوغها الهدف، وبالظرفية (في) مضافة إلى لفظ العموم (كُلّ)، لبيان مدى تمكن نفاذها واستقرارها في صدر كل مدرَّع ومترَّس، وكلا اللفظين (مدرَّع ومترَّس) كناية عن الحرص الشديد في السلامة، لكن سهام الموت نافذة لا محالة مهما بالغ المرء في التحصن بوسائل السلامة، ومن ثَمَّ تحصل النتيجة الضمنية وهي ترك الحرص على الدنيا والتكالب على شهواتها، وضرورة الاستعداد للموت المحقق بالتزود بالطاعات وعمل الصالحات.

المطلب الثالث: الكناية

الكناية كذلك لها دور مهم في عملية الإقناع، شأنها في ذلك شأن التشبيه التمثيلي والاستعارة، لأنها بمنزلة دعوى مصحوبة بالدليل، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في تعريفها: " الكناية أن يريدَ المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"[١]، وقد اعتبر الإمام عبد القاهر الكناية وسيلة بيانية أبلغ من التصريح؛ "إنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغَ وآكدَ وأشدَّ، فليست المزيَّة في قولهم: (جَمُّ الرماد) أنه دلَّ على قِرى أكثر، بل أنك أثبتَّ له القِرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابًا هو أشدّ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق"[٢]، ومن ثَم فالكناية وسيلة بيانية تقرر المعنى المقصود وتثبته بطريق آكد وأوثق، فتسلم المتلقي إلى الاقتناع بالدعوى والتسليم بها.

– ومن الكنايات التي جاءت داعمة للنصائح والحجج في ديوان الإمام عليّ – رضي الله عنه– قوله في كيفية معاملة الصديق: [٣] (الكامل)

واخفِضْ جَنَاحَكَ للصدِيقِ وكُنْ لَـهُ كـأبٍ علـى أولادِهِ يَتَحَـدَّبُ[4]

أوضح الإمام (عليٌّ) في البيت السابق الطريقة التي بها تدوم المودة والألفة والإخاء بين الأصدقاء، فكنى بخفض الجناح عن التواضع والرفق واللين والرحمة

---

[١] دلائل الإعجاز، للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر: ٦٦، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣ ١٩٩٢م.

[٢] السابق: ٧١.

[٣] قصيدة (وصية والد)، الديوان: ٣٩.

[4] حدب فلان على فلان، يحدب حدبا، وتحدب: تعطَّف، وحنا عليه، يقال: هو له كالوالد الحدب.

–ينظر: لسان العرب: مادة (ح د ب).

في التعامل مع الصديق، فأوضح بصورة عملية كيفية معاملة الصديق لصديقه، ولم يكتف بذلك ولكن أردف الكناية بتشبيه يدعمها ويوضحها أشد وضوح في الشطر الثاني: (كأبٍ على أولاده يتحدَّبُ)، مُشبِّها حال الصديق الحق لصديقه بحال أب يحنو على أولاده ويتعطف، ووجه الشبه في الرفق والرحمة والعطف، فينبغي معاملة الصديق بهذه الصورة التي تفيض حبا وحنانا وعطفا ورحمة، مشيرا بصيغة (تفعَّل) إلى ما يلاقيه الصديق المخلص في معالجة ذلك الأمر من معاناة وحشد لكل طاقاته وبذل ما في وسعه لحمايته والحفاظ على ودِّ صديقه، فضلا عما تضفيه صيغة المضارع (يتحدب) من تجدد هذه العاطفة المليئة بالحب والرحمة والرفق في نفسه وتكرارها في كل وقت، وكأنها تنبع من معين لا ينضب أبدا.

– ويقول في فضيلة الصفح والتغافل عن زلات الآخرين: [1] (الطويل)

وأُغْمِضُ عَينِي عَنْ أُمُورٍ كثيرةٍ وإنِّي على تَرْكِ الغُمُوضِ قَدِيرُ

وما مِنْ عمى أُغْضِي ولكن لَرُبَّمَا [2]تَعَامَى وأَغْضَى المَرْءُ وهو بصيرُ

يدعو الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– في البيتين السابقين إلى غض الطرف عن إساءة من أساء، والتغافل عن زلات الآخرين، لذا عبَّر بطريق الكناية في قوله: (وأُغمضُ عيني عن أمورٍ كثيرةٍ) إلى تغافله عن كثير من الأخطاء، والصبر على الإساءة، مبينا أن هذا التغافل ليس عن ضعف منه ولا عجز بل عن قوة، لذا احترس في الشطر الثاني بقوله: (وإنِّي على ترك الغموض قدير)، ليدفع به ما قد يُتوهم من أن تسامحه مع المُسيء ضعف منه، أو عجز عن معاقبته، فأزال هذا المعنى الذي قد يُداخل نفس المتلقي بجملة احتراس مؤكدة بـ(إنَّ) واسمية الجملة وتقديم الجار والمجرور (على ترك الغموض) على المسند (قدير)؛ حرصا منه

---

[1] مقطوعة (إنّي خبير)، الديوان: ٨٦، ٨٧.

[2] غضوت على الشيء وعلى القذى وأغضيت: سكتُ، وأغضى عنه طرفه: سده أو صده، وتغاضيت عن فلان إذا تغابيت عنه وتغافلت. لسان العرب: مادة (غ ض ا).

على بث الفكرة مؤكدة في نفس المتلقي وتقويتها وإلا صار الحلم والصبر على الأذى محل ذم لا فضيلة.

وكعادته –رضي الله عنه– لا يكتفي في بيان المعنى بالجملة الواحدة، بل يتبعه بمعنى آخر يعضده حتى يستقيم الكلام، وترسخ الحجة في نفوس سامعيه، وناسب ذلك المبالغة في نفي التغاضي، فتسلط النفي بـ(ما) على النكرة (عمى) المسبوقة بـ(من) البيانية؛ لإفادة العموم والاستقصاء أي انتفاء أي عمى قد اعتراه قط، ثم استدرك بـ(لكن)؛ ليدل على أن تغافله وإغضاءه عن قصد وعمد لا عن مرض أو علة، وأثبت ذلك من خلال كناية أخرى: (لربما تعامى وأغضى المرء وهو بصير)، كناية عن التغافل والتجاوز عن الإساءة، موضحا عن طريق (ربما) التي تستخدم غالبا في التقليل إلا أنه أراد بها هنا معنى الكثرة؛ ملاءمة مع معاني الحلم والصبر على الأذى وقوع التغاضي والتعامي كثيرا منه، فتقرر عن طريق الكنايتين أن التغافل والإغضاء عن زلة الآخرين حفاظا على صلة التراحم والإخاء بين المسلمين لا يعني الضعف بل هو عين الفطنة والحكمة، وهذا فيما يخص حقوق العباد، أما حقوق الله عز وجل من الواجبات والمحرمات والأوامر والنواهي فليست محلا للتغافل أو التقصير.

– وفي معنى الإباء والعزة وصون كرامة المسلم وحفظ المروءة، يقول: [1] (المتقارب)

إذا أَظْمَأتْكَ أَكُفُّ الرِّجالِ ... كَفَتْكَ القَنَاعةُ شَبْعًا وَرِيَّا

فَكُنْ رجُلا رِجْلُهُ في الثَّرى ... وهَامَةُ هِمَّتِهِ في الثُّرَيَّا

أَبِيًّا لنائلِ ذي ثَروَةٍ ... تراهُ لِمَا في يَدَيْهِ أَبِيَّا

فإنَّ إرَاقَةَ ماءِ الحياةِ ... دون إرَاقَةِ ماءِ المُحيَّا

[1] مقطوعة (القناعة والرجولة)، الديوان: ١٦٠.

الأبيات احتجاج للإباء وعزة النفس، وقد بنى حجته على الشرط، ثم كنى عن رقة الحال وشدة الفقر بقوله: (إذا أظمأتك أكف الرجال) فعل الشرط، أي لم تمتد لك بالعطاء الذي يسدُّ حاجتك ويكفيك مذلة السؤال، فصورت الكناية شدة الفقر وجسدته أبلغ تجسيد عن طريق استخدام الفعل (أظمأ)؛ الذي أفاد وصوله إلى درجة من الفقر والعوز الذي لا يُحتمل، وجاء جواب الشرط (كفتك القناعة شبعا وريًّا) بمنزلة النتيجة الحتمية لتلك المقدمة، فعلى المرء أن يقنع بحاله ويزهد فيما عند الناس، فغنى النفس هو الغنى الحقيقي الذي يحفظ له كرامته، ويمنعه مذلة السؤال، ثم يُتبع هذه الكناية بكناية أخرى في البيت الثاني تزيدها تأكيدا وتقريرا، فالبيت الثاني كله كناية عن الأنفة والإباء وعزة النفس، موضحا معنى الرجولة في أبهى صورها، بأن يكون الرجل الحق أبيًّا قدماه ثابتتان في الأرض تلامس الثرى لكن هامته ورأسه عاليا يكاد يلامس نجوم الثريا، فأكدَّ هذه المعاني الجليلة في نفس المتلقى أيَّما تأكيد بطريق الكناية التي أبرزته في صورة محسوسة تجذب إليها النفوس المتطلعة لنيل المعالي والتحلي بالفضائل، وازداد المعنى حسنا وجمالا وتأثيرًا بالتجانس بين (الثرى) بمعنى "التراب الندي"[1]، وبين (الثريا) بمعنى "النجم المعروف"[2]؛ نظرا لما يوحيه هذا التشابه بين اللفظين في اللفظ مع تباعدهما في المعنى إلى ضرورة بُعد العزيز الأبيّ عن الدنايا، وترفُّعه عن صغار الأمور التي من شأنها أن تذله وتحط من قدره.

ثم تراه في البيت الثالث يُلحُّ على هذا المعنى إلحاحًا، ويستوفيه من كل جانب، فصدَّر البيت بلفظ (أبيًّا) نعت لـ (رجل) صيغة فعيل بمعنى فاعل؛ مبالغة في الإباء، وإشارة إلى تأصله في نفس ذلك الرجل الذي جاء به نكرة في البيت السابق؛ لإفادة أنه رجل ليس كغيره من الرجال، وإنما هو رجل من نوع خاص، يفضِّل الموت على مذلة السؤال، فلا يتطلع لنيل شيء ليس له، ثم يريك بصيغة

---

[1] لسان العرب: مادة (ث ر ا).

[2] لسان العرب: مادة (ث ر ا).

المضارع (تراه) صورة ترفُّعِه عمَّا في يد غيره، مكررا لفظة (أبيًّا) في نهاية البيت، وهذا من باب رد العجز على الصدر؛ وكأنه يقرع الأسماع بتلك اللفظة التي هي رأس المعنى ومعقده مرة بعد مرة؛ تمكينا لها في ذهن السامع ووجدانه.

وترفُّعُ هذا الرجل الأبيّ عمَّا في أيدي الناس رغم فقره الشديد وحاجته المُلِحة والتي ربما أوصلته للإشراف على الهلاك يعدُّ أمرًا عجيبًا لا يقوى على تحمله إلا أصحاب النفوس القوية التي تعالج دوافع النفس وشهواتها بصبر ومجاهدة حتى تقهرها وتخضعها، لذا جاءت الحكمة في البيت الرابع كنتيجة ضمنية يثبت بها حجته ويؤكدها والتي بناها أيضا على الكناية؛ فجملة (فإن إراقة ماء الحياة) كناية عن الموت، وجملة (إراقة ماء المُحيَّا) كناية عن الذل والخضوع لمذلة السؤال، فجعل الموت دون الذل والخنوع، ومواجهته أهون على الرجل الأبيّ من مواجهة ذلّ السؤال، فتضافرت الكنايات في الأبيات الأربعة لإثبات حقيقة واحدة هي أن أول ما يجب أن يتوفر في الرجل الحق هو قوة النفس وعزتها والإحساس البالغ بالكرامة والإباء ولو ضحى في سبيل تحقيق ذلك بأثمن الأشياء حتى لو كانت حياته هي الثمن، فكلها أمور مهما عَظُمت تعدُّ صغائر مقارنةً بعلو الهِمَّة وصون الكرامة وحفظ ماء الوجه.

المبحث الثالث: أساليب البديع الحجاجية

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعليل

المطلب الثاني: المذهب الكلامي

المطلب الثالث: الاقتباس

المطلب الرابع: استيفاء أقسام الشيء بالذكر

المطلب الأول: التعليل

ليس المقصود بالتعليل هنا (حسن التعليل) الطريف الذي معناه: "أن يُدَّعى لوصف علة مناسبة باعتبار لطيف غير حقيقي"[١]، وهو التعليل الذي يهدف صاحبه إلى الاستطراف والملاحة، لكن المراد بالتعليل كآلية حِجَاجية هنا إيراد المتكلم علة منطقية تدعم حجته أو دعواه بغية الإقناع، فالمراد به : "كل صياغة فنية تُبرز وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها"[٢].

من التعليل قول الإمام (عليّ) في البقاء على ودِّ القلوب الصديقة، وحمايتها من التعرض للأذى: [٣] (الكامل)

واحْـرِصْ علـى حِفْـظِ القُلُـوبِ مِـنَ ... فَرُجُوعُهـا بَعـدَ التَّنَـافُرِ يَصْـعُبُ

إنَّ القُلُـــوبَ إذا تَنَـــافرَ وِدُّهَـــا ... شِبهُ الزُّجاجَةِ كَسْرُهَا لا يُشْعَبُ[4]

يدعو الإمام عليٌّ –رضي الله عنه– في البيتين السابقين إلى الحفاظ على دوام المودة والألفة بين المسلمين، فأرشد عن طريق فعل الأمر (احرص) إلى ضرورة الحرص على ودِّ القلوب الصديقة المُحبة بعدم التعرض لها بأذى من شأنه أن يعكر صفو الحب والإخاء، وتعريف كلمة (الأذى) بلام الاستغراق؛ ليدخل تحت مظلتها جميع المعاني المندرجة تحت مفهوم الأذى من قول وفعل يؤدي إلى كسر القلوب وتنافرها، معللا لذلك بعلة واقعية منطقية في الشطر الثاني: (فرجوعها بعد التنافر يصعُبُ)، ليبين أنَّ علة الحرص على الودِّ وحفظه هو أن عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الودِّ والحُبِّ بعد التنافر المسبب عن الأذى أمر صعب، وكأن

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت إبراهيم شمس الدين: ٢٧٨، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١ ٢٠٠٣م.

[٢] البديع تأصيل وتجديد، د منير سلطان: ١٨٤، منشأة المعارف بالاسكندرية– مصر ١٩٨٦م.

[٣] القصيدة الزينبية، الديوان: ٤٦.

[4] الشَّعْبُ: الجمع والتفريق والإصلاح والإفسادُ، شعب الرجل أمره إذا شتته وفرَّقه، والشَّعْبُ يكون بمعنيين: يكون إصلاحا ويكون تفريقا. لسان العرب: مادة (ش ع ب).

جملة التعليل قد أثارت في نفس المتلقي تساؤلا: لماذا يصعب رجوع القلوب إلى وِدّها بعد التنافر؟، فجاء البيت التالي بيانا لهذا التساؤل، لذا فصل لشبه كمال الاتصال، وناسب ذلك تأكيد الخبر بأكثر من مؤكد؛ إزالةً لتردد النفس المتلقية لجملة التعليل، ثم قرر عن طريق التشبيه التمثيلي صعوبة رجوع القلوب إلى وِدّها السابق بعد إيذائها بل واستحالة حدوث ذلك، فشبَّه هيئة استحالة رجوع القلوب التي تعرضت للأذى من مُحبيها، فبعدت وهجرت بعد حب وألفة، بهيئة إصلاح الزجاجة بعد كسرها، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من استحالة إصلاح شيء حساس بعد كسره وتناثر أجزائه قطعا صغيرة، فأسهم التشبيه التمثيلي في إشباع المعنى، وتوضيح جملة التعليل، وتقرير أن إيذاء القلوب المخلصة يكسرها ويمزقها قطعا يُحال معها جبر كسرها، أو إلتئام جرحها من جديد، تجسيد تبرز أحداثه وتصوره صيغة المضارع المسبوقة بنفي: (لا يُشعَبُ)، فوقع الاقتناع بوجوب الحفاظ على كل ما من شأنه إدامة الودِّ والمحبة والإخاء بين الأخوة المتحابين في الله، وتجنب كل ما يؤدي إلى الفرقة والتمزق والتشرذم فيما بينهم.

– وفي تجنب مصاحبة الكذوب ومخالطته يقول: [1] (الكامل)

واقْــلِ الكَــذُوبَ وقُرْبَــهُ وجِــوَارَهُ إنَّ الكَذُوبَ مُلَطِّخٌ مَنْ يَصحَبُ[2]

جاءت الحُجَّة على صيغة الأمر (اقلِ)؛ ليمثل دعوة صريحة يحذِّر فيها المتلقي من مصاحبة الكذوب أو التقرب منه بأي شكل من الأشكال، معللا تلك النصيحة بجملة مؤكَدة: (إن الكذوبَ مُلطِّخ مَن يصحب)، جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، واقعة موقع العلة لما قبلها، وهي تفسير لسؤال يجري في خاطر المتلقي عن سبب تجنب الكذوب والبعد عنه، فناسب ذلك توكيد الجملة بأكثر من مؤكد؛ لتقرير

---

[1] قصيدة (وصية والد): ٣٩.

[2] قَلَيْتُه قِلَى وقِلاءً: أبغضتُه وكرهته غاية الكراهة فتركته، ولطخه بشيء يلطخه: اي لوثه به فتلوث.

–ينظر: لسان العرب: مادة (ق ل ا)، ومادة (ل ط خ).

أنَّ مصاحبة الكذوب تلطخ من يصحبه؛ لأن خلائق السوء تعدي، فالمرء يتخلق بأخلاق قرينه وتغلب عليه طباعه، فشبَّه ما يلحق مَن يصاحب الكذوب من العيب وسوء السمعة بالتلطيخ، بجامع الإفساد والضرر في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، فجسدت الاستعارة ذلك التلوث المعنوي بالتلوث المادي المحسوس الذي تأباه وتنفر منه الطباع السليمة، مثبتًا أن هذا التلطيخ واقع لا محالة من مقاربة الكذوب عن طريق التوكيد، واسمية الجملة، والتعبير بصيغة اسم الفاعل (مُلطِّخ)، وهذا التعليل المنطقي أثبت صحة الحُجَّة، والاقتناع بالبعد التام عن الكذوب –الذي اعتاد الكذب حتى صار طبعا فيه–؛ ضمانا لسلامة المرء من فساد أخلاقه أو تلوث سمعته بين الناس.

– وفي الحث على الجود والبذل يقول: [1] (الطويل)

إذا جادتِ الدُّنيا عليك فَجُدْ بِها على الناس طُرًّا[2] إنَّها تَتَقَلَّبُ

فلا الجُودُ يُفْنِيها إذا هيَ أَقبَلَتْ ولا البُخْلُ يُبْقِيها إذا هي تَذهبُ

يدعو الإمام في البيتين إلى ترك الحرص على الدنيا والجود بها على الناس جميعا، وقد بنى حجته على الشرط بـ(إذا)؛ لبيان أن إقبال الدنيا بنعيمها على المرء ليس بالأمر المستحيل ولا النادر الوقوع بل أمر ممكن، وفي إسناد الجود للدنيا مجاز عقلي علاقته الزمانية، فالفاعل الحقيقي هو الله عز وجل، والدنيا هي زمن يقع فيه الإنعام على العبد، وفي جواب الشرط (فجد بها) حث وإرشاد إلى بذل ما أنعم الله به عليك من نعيم الدنيا في طاعته، وإنفاقه على الناس جميعا، فأشار بالباء في (بها) إلى الجود بكل ما جادت به الدنيا عليك وبذله للناس ابتغاء مرضاة الله، وهذه دعوة عجيبة، تثير في النفس تساؤلا: لمَ الجود بكل شيء وليس بعضه؟، والنفس بطبعها جُبلت على حب المال، فكان التعليل في قوله: (إنها تتقلب)،

---

[1] مقطوعة (الجود)، الديوان : ٤٠.

[2] طُرًّا: جميعا. ينظر: لسان العرب: مادة (ط ر ر).

استئنافا بيانيا دافعا لتردد النفس في قبول الخبر، فأثبت عن طريق جملة التعليل المؤكدة والموجزة غاية الإيجاز أن طبيعة الدنيا التقلب من حال لحال، فأبرزت صيغة المضارع (تتقلب) عدم دوامها على حال واحدة، وتكرار تقلبها من آن لآخر، فإذا جادت عليك اليوم فقد تضيق عليك غدا، فلم الحرص على شيء لا يدوم؟!.

وقد أردف هذا التعليل العقلي بحكمة منطقية منبثقة منه، وقد بُنيت هذه الحكمة على المقابلة، بمعنى أنَّه إذا ثبت منطقيا وواقعيا أن الدنيا تتقلب ولا تدوم على حال، فينتج عن ذلك أن الجود لا يذهب بالمال ولا يزيله إذا أقبلت الدنيا – وإقبال الدنيا كناية عن الغنى والنعيم–، كما أن البخل لا يُبقي على المال إذا ذهبت الدنيا بنعيمها – ذهاب الدنيا كناية عن الفقر والضيق والعسر–، ومن ثم ثبت فضل الجود على الحرص، وحب البذل على البخل، فالنفس المؤمنة الواثقة فيما عند الله تكون محبة للخير والبذل والعطاء؛ لأنها نفس خصبة تحب الخير للجميع، وتفيض على الإنسانية حُبًّا وعطاءً وسخاءً.

المطلب الثاني: المذهب الكلامي

المذهب الكلامي هو: "أن يُورد المتكلم حُجَّةً لما يدَّعيه على طريق أهل الكلام"[1]، بمعنى أن المتكلم يأتي بحجة عقلية يستدل بها على صحة دعواه بعد التسليم بالمقدمات كما هي طريقة أهل الكلام في اجتهادهم لإثبات الأحكام بالأدلة العقلية الدامغة، والمذهب الكلامي شأنه شأن غيره من فنون البديع في أنه يشترط لحسنه أن يأتي مطبوعا تابعا للمعنى غير متكلف.

– ومن أمثلة المذهب الكلامي في ديوان الإمام عليّ –رضي الله عنه– قوله: [2] (البسيط)

لَمْ يُرزَقُوها عَنْ قُوَّةٍ أو مُغَالَبَةٍ لَكِنَّهم رُزِقُوها بالمَقَادِيرِ

لو كانَ عَنْ قُوَّةٍ أو مُغَالبَةٍ طارَ البُزاةُ بأَرزَاقِ العَصَافِيرِ

يحتجُّ الإمام هنا أن الأرزاق مكتوبة ولا تنال بتدبير ولا حيلة، فكل شيء مقدَّر عند الله عز وجل، فمن رُزِق الدنيا لم يُرزقها بذكاء ولا قوة بل بتقدير الله، وليس له في ذلك يد، وجاء بفعل الرزق مكررا أكثر من مرة مع بنائه للمفعول؛ تأكيدا لكون الأرزاق مقدرة كالموت، وأن الرزق يأتيك بدون سعي وإنما الإنسان يسعى استجابة لأمر الله القائل: (فامشوا في مناكبها)، وهو مأجور على سعيه، ويستدل على هذه الحقيقة المُسلَّمة بالدليل العقلي القاطع في البيت الثاني؛ موضحًا أن الرزق لو كان يُجلب بالقوة أو العقل والمغالبة لذهبت البزاة (الصقور) بأرزاق العصافير الضعيفة، ولكن هذا لم يحدث، فلكل منهم رزقه، ومن ثم انتفى اللازم وهو ذهاب البزاة بأرزاق العصافير مما يفضي بانتفاء الملزوم وهو كون الأرزاق مشروطة بالعقل أو القوة، ومن ثَمَّ ثبت أنها مقدرة ومكتوبة، ولن يجد المرء إلا ما قُدِّر له، فلمَ التكالب

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت إبراهيم شمس الدين: ٢٧٧.

[2] مقطوعة (الدنيا والمقادير)، الديوان : ٧٥.

والحرص على الدنيا؟، فرزق الإنسان آتيه كما يأتيه أجله، فحصل الإقناع بالمعنى المراد عن طريق المذهب الكلامي المستند على القياس والاستدلال العقلي.

– وفي موضع آخر يؤكد بالمذهب العقلي أن الرزق مقدر بالميزان من الحكم العدل، فيقول: [1] (البسيط)

لو كان باللُّبِّ يَزدادُ اللَّبيبُ غِنَى لكان كُلُّ لَبِيبٍ مِثْلَ قارونِ

لَكِنَّما الرِّزقُ بالمِيزَانِ من حَكَمٍ يُعطِي اللَّبيبَ ويُعطي كُلَّ

يحتجُّ الإمام أن الرزق الذي قدَّره الله في اللوح المحفوظ لا يزيد بالفطنة ولا ينقص بالغباء، ولو افتُرِضَ ذلك لاستلزم أن يكون كلُّ فَطِن لبيب له من الكنوز والأموال ما كان لقارون، لكن الواقع يؤكد عكس ذلك، فالغنَى ليس حكرا على الفطناء، فرزق الله جارٍ على الفريقين، وبما أن جواب شرط (لو) وهو (لكان كل لبيب مثل قارون) باطل، فالشرط الذي ترتب عليه الجواب وهو (كان باللب يزداد اللبيب غنى) باطل أيضا، ثم جاءت النتيجة الحتمية في البيت الثاني المنبثقة من هذا الاستدلال العقلي لتؤكد أن الرزق مُقَسَّمٌ بالعدل والميزان من الحكم العدل سبحانه وتعالى، الذي يعطي اللبيب ويعطي كل مأفون، فعطاؤه متجدد ومستمر على خلقه دون انقطاع.

---

[1] مقطوعة (لا تخضعن)، الديوان : ١٤٥.

[2] المأفون: ضعيف الرأي والعقل.

–ينظر: القاموس المحيط، للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي: ١١٧٦، مؤسسة الرسالة، ط٨ ٢٠٠٥م.

–ويتعجب –رضي الله عنه– ممن يرجو لنفسه السلامة في الآخرة ولم يعمل لها، فيقول: [1] (البسيط)

ترجُو النَّجاةَ ولَمْ تسلُكْ مَسَالِكَهَا ... !إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ

التعجب هنا قائم على التناقض بين الرجاء والوسيلة، إذ كيف يرجو المرء النجاة في الآخرة والفوز بالنعيم دون أن يعمل وَيَعُدُّ العدة، ويعمل لها، ومن كان هذا حاله فهو واهم غارق في أوهامه، فمن أراد السلامة سلك طريقها وليس طريقا آخر، فكما أن السفينة لا تجري إلا في البحر ولا تجري على اليبس فكذلك من أراد النجاة من عذاب الله سلك المسالك المؤدية إليها، وقد امتزج الاستدلال العقلي بالتشبيه التمثيلي، فشبَّه هيئة من يرجو النجاة من عذاب الآخرة ولا يسلك مسالكها الصحيحة بهيئة السفينة التي تحاول الجري على اليابسة، وجه الشبه الهيئة الحاصلة من استحالة الوصول لفقدان الوسيلة الصحيحة المؤدية إليه، وبهذا الامتزاج البديع أصبحت الحُجَّة أكثر إقناعا وتأثيرًا؛ إذ جمعت بين الإقناع والإمتاع.

[1] مقطوعة (السفينة لا تجري على اليبس)، الديوان : ٩٢.

المطلب الثالث: الاقتباس

الاقتباس هو:" أن يُضمِّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"[١]، فإن من شأن الاستناد إلى القرآن والمتواتر من الأحاديث أن يُسهم في عملية الإقناع، ويدعم الحجاج؛ إذ يقوي درجة التصديق لدى المتلقي بدعوة ما، وتُقوي من درجة حضورها في ذهنه، إذ يُعَدُّ" الشاهد القرآني سُلطة غير شخصية؛ لأنه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين، لذلك يشكل محط إجماع عام دون كل الحجج"[٢]، ومن ثم كان الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف داعما مهما للحجاج؛ لأنها أدلة قاطعة متضمنة لحقائق مؤكدة، مما يحمل المتلقي على قبول الحجة والتسليم بصحتها.

– ومن أمثلة ذلك قوله –رضي الله عنه–:[٣] (البسيط)

ولا تُقِيمَنْ بدارٍ لا انتِفَاعَ بها فَالأرضُ وَاسعَةً والرِّزْقُ مبسوطُ

يمثل النهي في قوله: (لا تقيمن) دعوة حجاجية يحث فيها الإمام كل مسلم على السعي في الأرض لطلب الرزق بدلا من الإقامة في مكان لا انتفاع به، مؤكدا حرصه الشديد على الامتثال لنصحه من خلال توكيد الفعل بنون التوكيد الخفيفة، واستدعاء النظم الحكيم والاستشهاد به على صحة دعواه، فقوله: (فالأرض واسعة) مقتبس من قوله تعالى: ﴿**يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾[٤]، وبهذا الاسترفاد الوضَّاء ازدادت الصورة وضوحا، والحجة قوة، وازداد المعنى تقريرا وقبولا وحضورا في ذهن السامع.

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت إبراهيم شمس الدين: ٣١٣.

[٢] بلاغة الإقناع في المناظرة، د عبد اللطيف عادل: ٢٣٣، دار الأمان بالرباط، ط١ ٢٠١٣م.

[٣] مقطوعة (لا تغضب)، الديوان : ٩٧.

[٤] سورة العنكبوت: آية (٥٦).

– ومن هذا قوله أيضا: [1] (الكامل)

وإذا أَصَـــابَكَ فـــي زَمانِـــكَ شِـــدَّةٌ وأَصَابَكَ الخَطْبُ الكريـهُ الأَصْعَبُ

فـــادعُ لِرَبِّـــكَ إنَّـــهُ أَدْنَـــى لِمَـــنْ يَـدعُوهُ مِـنْ حَبـلِ الوَرِيـدِ وَأَقْـرَبُ

يدعو الإمام عليّ –رضي الله عنه– في البيتين السابقين إلى ضرورة اللجوء إلى الله جل وعلا، والاعتصام به عند نزول الشدائد، فبنى حُجَّته على أسلوب شرطي بـ(إذا) التي تدخل على المتيقن بوقوعه، فاستمدت الحجة قوتها من خلال الانطلاق من مقدمة يقينية وصولا إلى نتيجة حتمية، وقد عبَّر عن وقوع الشدة بالإصابة التي "أكثر ما تُستعمل في الضراء والعذاب"[2]، وجعل فعل الإصابة واقعا من (شدة) بالتنكير؛ مبالغةً في عظمها وهولها، ثم عطف على جملة الشرط جملة أخرى بالواو في (وأصابك الخطب الكريه الأصعب)؛ إشارة إلى تغاير الإصابتين، وارتقاء المعنى من الشديد إلى الأشد الأصعب، فضلا عن وصف الخطب بوصفين بالغين في الشدة (الكريه الأصعب)؛ للدلالة على وصول الخطب العظيم إلى حال لا يمكن معها تحمله، ثم أتى بجواب الشرط (النتيجة) في البيت الثاني بالفاء التي أفادت سرعة اللجوء إلى الله بالدعاء والتضرع له عند نزول الشدة والخطب الجلل بلا إبطاء أو ريث، وتعدي الفعل (ادعُ) باللام مع أنه متعدٍ بنفسه؛ لإفادة معنى التضرع وإخلاص التوجه إلى الله وحده دون غيره، فهو وحده القادر على رفع البلاء وإزالة الكرب، معقبا تلك النتيجة بجملة تعليلية مؤكدة مقتبسة من القرآن الكريم توضح سبب التوجه لله –جل وعلا– وحده؛ لأنه أقرب إلى العبد من حبل الوريد، فقوله: (إنه أدنى لمن يدعوه من حبل الوريد) مقتبس من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ**

---

[1] القصيدة الزينبية، الديوان : ٤٦.

[2] شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، أ.د محمد محمد أبو موسى: ١٤٥، مكتبة وهبة عابدين بالقاهرة، ط٢ ٢٠١٠م.

الْوَرِيدِ ﴾[1]، فاستحضار صورة التضرع والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى المدعومة بالمعاني القرآنية على هذا النحو يؤكد المعنى، ويزيده تقريرًا ورسوخًا في النفس، ومزيد اقتناع وتسليم بأن كل مسلم عليه أن يلجأ إلى الله في كل وقت لا سيما وقت الشدائد وحلول البلاء؛ لأن التوجه إليه وحده –جلَّ وعلا– والانقطاع إليه تُعدُّ منزلة عظيمة من الإيمان الثابت واليقين الراسخ.

[1] سورة ق: آية (١٦).

المطلب الرابع: استيفاء أقسام الشيء بالذكر

أطلق عليه ابن أبي الإصبع المصري **صحة الأقسام**، وعرَّفه بقوله: "هو عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئا"[١]، ويُعَدُّ من الفنون البديعية التي تسهم في عملية الإقناع؛ لأن قدرة المتكلم على حصر أفكاره والإحاطة بها من جميع الجهات لا يدع للمخاطب مجالا للإنكار أو جحد المعنى بعد استيفاء المتكلم لأقسام الشيء المذكور.

– ومن أمثلته قوله –رضي الله عنه– في فضل العالم والمتعلم: [٢] (البسيط)

النَّـاسُ اثنـانِ: ذو عِلْـمٍ ومُسْـتَمِعٌ [3]واعٍ وسـائِرهُمْ كـاللَّغْوِ والعَكَـرِ

قسَّم الناس قسمين، القسم الأول: وهو العالم، وقد عبَّر عنه بقوله (ذو علم)، أي ملازم له فهو من أهله المخلصين الذين تعلموا العلم وعملوا به وعلَّموه، والقسم الثاني: مستمع واعٍ، أي متعلم فطن حريص على تعلم العلوم النافعة، لذا وصفه بـ(واعٍ)؛ أي يقظ لما يتلقاه من العلم فلا يأخذ إلا ما ينفعه، فيعمل به ويعلِّمه غيره، وما دون هذين القسمين أي ما ليس بعالم ولا متعلم فلا يعتد كونهم من الناس أصلا، فهؤلاء لا قيمة لهم، مشبهًا إياهم باللغو والعكر في عدم النفع وانتفاء الفائدة المرجوة منهم لأنفسهم ولغيرهم، فليس لديهم بصيرة تهديهم الطريق، ولا يستطيعون التمييز بين ما ينفعهم وما يضرهم؛ لافتقادهم العلم النافع، لذا يسهل تضليلهم وميلهم مع كل ريح تعصف بهم.

وبهذا التقسيم يكون قد استوفى أحوال الناس بالذكر؛ ليثبت في النهاية أن خيرها الصنف الأول (العالم) والثاني (المتعلم)، أمَّا ما دونهما وهو (الجاهل) فهو

---

[١] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي افصبع المصري، ت د حفني محمد شرف: ١٧٣، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

[٢] مقطوعة (الآداب في الصغر)، الديوان : ٧٧.

[3] اللغو: السَّقَطُ وما لا يُعتدُّ به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع.

عَكِرَ الماءُ والنبيذُ عَكرًا: إذا كَدِرَ.

–ينظر لسان العرب: مادة (ل غ ا)، ومادة (ع ك ر).

صنف هالك، قلوبهم ضعيفة وعقولهم خاوية، كلما صاح بهم صائح اتبعوه دون تفكير؛ لافتقادهم العلم الذي يكشف لهم الصحيح من الزائف، والصواب من الخطأ، فكُنْ عالما أو متعلما تنجو، ولا تكن جاهلا فتهلك.

– وفي بذل المال لكل طالب محتاج إليه يقول: [1] (الطويل)

سأَمْنَحُ مَالي كُلَّ مَنْ جاءَ طالبا وأَجْعَلُهُ وقْفًا على القَرْضِ

فإمَّا كَرِيمٌ صُنْتُ بالمالِ عِرْضَهُ وإمَّا لَئِيمٌ صُنْتُ مِنْ لُؤْمِهِ عِرْضِي

يحتج الإمام في البيت الأول أن من شيمته البذل والسخاء، وأنه –رضي الله عنه– يمنح ماله لكل طالب، ويجعل ماله وقفا على القرض والفرض، فأكدَّ عن طريق الجناس اللاحق بين (القرض، الفرض) بذل ماله لكل محتاج، إما على سبيل القرض (الدَّين) وإما على سبيل الفرض أي الزكاة، فلا يردُّ طالبا، كما أفاد لفظ العموم (كُلَّ) مضافا إلى اسم الموصول (مَنْ) عدم التمييز بين سائل وآخر، ومنهم الكريم واللئيم، لذا حسُن التقسيم في البيت الثاني عن طريق التفصيل بـ(إمَّا)، مردفا كل قسم بعلَّته، حيث قسَّم مَنْ يعطيهم ماله ما بين كريم الطباع لا ينسى فضل الجميل حتى يردّه، وعلة إعطائه صون عِرض الكريم من الانتقاص أو الذم، والقسم الثاني وهو اللئيم فاسد الطباع الذي لا يحفظ الجميل ولا يصونه، وحجته في إعطائه صون عِرضه –الباذل للمال– من ذم اللئيم ومن لؤمه، وبهذا التقسيم يكون قد استوفى جميع أصناف المُنْفَقِ عليهم، ولا يوجد زيادة على ما ذكر، ثم أنه قد أردف كل قسم بحجته ودليله؛ مبالغة في إشباع المعنى واستيفائه، فحصل الاقتناع بالفكرة وهي بذل المال طاعة لله دون النظر إلى سائله كريما كان أو لئيما، فالإنفاق كله خير، ولا سبيل لمن اعترض أو منع عطاء سائل.

– ويقول في نصر الله لرسوله وللمؤمنين في غزوة بدر: [2] (المتدارك)

ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَبْلَى رَسُولَهُ بَلاءَ عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذي فضلِ[3]

---

[1] مقطوعة (فإمّا وإمَّا)، الديوان : ٩٥.

[2] قصيدة (أحسن الفعل)، الديوان : ١٢٤.

بِمَـــا أنـــزلَ الكفَّـــارَ دارَ مذلَّـــةٍ [1]فذاقُوا هوانًا من إسارٍ ومن قَتْلِ

تحدث الإمام في هذه القصيدة عن غزوة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون بقيادة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على صناديد الكفر من قريش، وقد أعزَّ الله رسولَه والمسلمين بهذ النصر العظيم، وأظهر دينه، وأذلَّ الكفار فتجرعوا مرارة القتل والخسران، وقد افتتح –رضي الله عنه– القصيدة بالاستفهام التقريري بمعنى التحقيق والإثبات، ولا يخفى ما فيه من الحث على التدبر لفضل الله الذي أبلى رسوله بلاء حسنا، مؤكدا هذا البلاء بالمفعول المطلق (بلاء) مضافا إلى (عزيز ذي اقتدار وذي فضل)؛ تعظيما لشأن هذا الإنعام وذلك الفضل الصادر من قِبل قدرة عالية لا ترقى إلى حقيقتها العقول؛ تكريما لرسوله–صلى الله عليه وسلم– وللمؤمنين الصادقين.

وصياغة البيت الأول على هذا النظم قد أحدث في نفس المتلقي تشوقا لمعرفة ماهية هذا البلاء الحسن، فجاء بيان ذلك في البيت الثاني:

بِمَـــا أنـــزلَ الكفَّـــارَ دارَ مذلَّـــةٍ فذاقُوا هوانًا من إسارٍ ومن قَتْلِ

حيث تضافرت الأساليب لتصوير وبيان كيف أعزَّ الله رسوله والمؤمنين وأذلَّ الكافرين المعاندين، وذلك بإنزال الكفار دار مذلة، مُشبِّهًا المذلة التي أنزلها الله بالكفار بالدار –من باب إضافة المشبه للمشبه به– في الإحاطة والشمول، وكأنهم صاروا محاطين بالمذلة من كل جانب فلا يخرجون من تحت مظلتها، فضُرِبَتْ عليهم كالدار، وناسب ذلك استخدام الفعل (أنزل)؛ للدلالة على الانحطاط من علو، فهو إنزال عذاب وهزيمة ومذلة وانكسار، ثم عطف عليها جملة (فذاقوا هوانا) بالفاء التفسيرية؛ لأنها فسرت كيفية إنزالهم دار مذلة بعد هزيمتهم، كما عبَّر

---

[3] أبلاه الله يبليه إبلاءً حسنا: إذا صنع به صنعا جميلا، والبلاء : الاختبار ويكون بالخير والشر، وقيل البلاء: الإنعام والإحسان. ينظر: لسان العرب: مادة (ب ل ا).

[1] الهوان: الاستخفاف بالشيء والاستحقار. ينظر: لسان العرب: مادة (هـ و ن).

بالإذاقة عن الإصابة بالهوان؛ مبالغة في شدة إصابتهم الذل، وتذوقهم مرارته، مُذَيِّلا البيت ببيان أنَّ إذاقتهم الهوان لم تخرج عن أمرين، الأول الأسر، والثاني: القتل، فأمكن الله –جل وعلا– رسوله والمؤمنين من رقاب أعدائهم، فصاروا في أيديهم بين فريقين، فريقا أُسر، وفريقا قُتل، مقدما الأسر على القتل؛ لأنه أشد وقعًا على نفوسهم، والإذلال فيه أوضح من القتل بالنسبة لصناديد قريش ورجالها المشهورين بالعنت والكبر، وبهذا التقسيم صار أعداء الله ما بين قتيل وأسير ولا ثالث لهذا التقسيم، إمعانًا في تجرعهم مرارة الخزي والذل والهوان على أيدي رسوله –صلى الله عليه وسلم– وأيدي المسلمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله، لقد سعيت في هذه الدراسة المتواضعة للكشف عن الوسائل الحجاجية البلاغية التي وظَّفها الإمام عليّ –رضي الله عنه– في ديوانه، وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

– يسعى الإمام عليّ –رضي الله عنه– من خلال خطابه الحجاجي إلى تغيير أفكار المتلقي، وتقويم خُلُقِهِ، وإقناعه بتغيير سلوكه بطريق النصح والإرشاد والتوجيه معتمدًا في ذلك على عدة وسائل لغوية وبلاغية ومنطقية.

– كان لأسلوب الشرط حضورًا ملموسًا في النص الحجاجي عند الإمام عليّ – رضي الله عنه–؛ نظرًا لاعتماده على علاقة التلازم بين السبب والنتيجة، وتسليم المتلقي من خلال توجيهه بالمقدمة إلى النتيجة المحتومة المراد تقريرها.

– توظيف التوكيد بأدواته المختلفة (إنَّ– القصر بالنفي والاستثناء– القصر بإنَّما) كآلية حجاجية؛ لكونه من الأساليب الحجاجية المهمة لإقناع المتلقي بالمعاني المراد تقريرها، وبثها في سويداء قلبه، خاصةً ما إذا كان المقام مقام نصح وإرشاد أو وعظ وحكمة؛ لأن هذه المقامات التي تكون الغاية منها تهذيب النفس، وغرس منابت الخير فيها، واستئصال دوافع الشر منها تقتضي ضروبا من التوكيد.

– شيوع الأساليب الإنشائية وتكرارها بشكل كبير في الديوان كالأمر والنهي والاستفهام، وكان أبرزها الاستفهام؛ إذ يحمل في طيّه قضية حجاجية تثير ذهن المتلقي، وتدعوه إلى إعمال فكره وحسه، وفي هذا استدراج من المتكلم للمخاطب ليحاجج نفسه بنفسه، فيقرُّ المعنى في نفسه، ويتمكن فضل تمكن.

– اعتماد الإمام عليّ–رضي الله عنه– على الوسائل البيانية كالتشبيه التمثيلي والاستعارة والكناية كوسائل حِجاجية، فكان لها دورها البارز والملموس في دعم الحجة وعملية الإقناع بمضمون الفكرة والاطمئنان بها؛ لتصويرها الأمر المعنوي المكنون وإخراجه في صورة حيَّة واضحة تطمئن لها النفوس.

– استحضار القرآن الكريم والاقتباس منه قد أضفى على الحِكم والمواعظ والنصائح في الديوان مصداقية قوية دعمت هذه المعاني، وأكسبتها قوة وتقريرا ورسوخا في النفوس والأذهان.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-أسرار البلاغة للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ط١ ١٩٩١م.

٢-الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت-لبنان، ط٥ ٢٠٠٢م.

٣-آل حم غافر وفصلت دراسة في أسرار البيان، أ.د محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة عابدين- القاهرة، ط٢ ٢٠١٢م.

٤-الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ت إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١ ٢٠٠٣م.

٥-البديع تأصيل وتجديد، د منير سلطان، منشأة المعارف بالاسكندرية- مصر ١٩٨٦م.

٦-بلاغة الإقناع في المناظرة، د عبد اللطيف عادل، دار الأمان بالرباط، ط١ ٢٠١٣م.

٧-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي افصبع المصري، ت د حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٨-الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، أ.د سامية الدريدي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط٢ ٢٠١١م.

٩-دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة عابدين- القاهرة، ط٤ ٢٠٠٨م.

١٠-دلائل الإعجاز، للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣ ١٩٩٢م.

١١-ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه-، دار المعرفة بيروت-لبنان، ط٣ ٢٠٠٥م.

١٢-شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، أ.د محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة عابدين بالقاهرة، ط٢ ٢٠١٠م.

١٣-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلويّ اليمني، قدَّم له أ.د إبراهيم الخولي، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٩م.

١٤- الفروق اللغوية، للإمام الأديب أبي هلال العسكري، ت عماد ذكي البارودي، دار التوفيقية للتراث والطبع والنشر.

١٥-قراءة في الأدب القديم، أ.د محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة عابدين-القاهرة، ط٤ ٢٠١٢م.

١٦-كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية-بيروت ٢٠١٣م.

١٧-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ت د عدنان درويش، محمد المصري: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٢ ١٩٩٨م.

١٨-لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث القاهرة ٢٠١٣.

١٩-اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي -بيروت، ط١ ١٩٩٨م .

٢٠-مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان- بيروت ١٩٨٦م.

٢١-معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٩م.

٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري، ت محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ١٩٩١م.

٢٣-مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن على السكاكي، ضبطه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١ ١٩٨٣م.

فهرس الموضوعات

الموضوع
المقدمة
التمهيد
المبحث الأول:أساليب الحجاج البلاغية المستقاة من علم المعاني في ديوان الإمام عليّ (رضي الله عنه)، ويضم أربعة مطالب:
المطلب الأول: التوكيد بـ(إنَّ- القصر بالنفي والاستثناء- القصر بإنَّما)
المطلب الثاني: أسلوب الشرط
المطلب الثالث: الاستفهام
المطلب الرابع: التذييل
المبحث الثاني: أساليب التصوير الحجاجية، ويضم المبحث ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: التشبيه التمثيلي
المطلب الثاني: الاستعارة
المطلب الثالث: الكناية
المبحث الثالث: أساليب البديع الحجاجية، ويضم أربعة مطالب:
المطلب الأول: التعليل
المطلب الثاني: المذهب الكلامي
المطلب الثالث: الاقتباس
المطلب الرابع: استيفاء أقسام الشيء بالذكر
الخاتمة